خَفايَا المُبَاهَلة

إبراهيم الأنصاري البحراني

استمع وشاهد الشرح عبر
اليوتيوب من خلال الرابط أعلاه

بسم الله الرحمن الرحيم

خفايا المباهلة

مقدّمة المؤلّف

نحمد الله على أن وفّقنا لبيان أسرار كثيرة من السُّوَر القرآنيّة كسورة يس وطه والفلق والعلق والفجر وغيرها من خلال التركيز على خريطتها الكاملة الّتي تشتمل على عنوان السورة وموضوعها، والأهمّ منهما هو برج السورة الّذي هو بمنزلة القمّة للجبل الشامخ من خلالها يمكننا مشاهدة جميع ما في الوادي، الّتي هي آيات السورة، والمثال لذلك آية الكرسي في سورة البقرة، وآية النور في سورة النور، وآية الإحصاء في سورة يس، وآية الأسماء الحسنى في سورة طه.

وبما أنّ بعض الآيات لها بروز خاصّ كآية المباهلة ارتأينا أن نتحدّث عنها بنحو مستقلّ وبتفصيل أكثر، فإليك هذا الكتاب المسمّى بـ«خفايا المباهلة»، وهو أوّل كتاب يُنشر من سلسلة الكتب الجاهزة للطباعة، الّتي منها «خفايا علويّة»، «خفايا فاطميّة»، «خفايا عاشوراء»، «خفايا مهدويّة»، «خفايا الفجر»، «خفايا التذكرة»، وعشرات أخرى.

في سورة آل عمران – وبالتحديد في آية المباهلة – قد برزت أكبر فضيلة من فضائل أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام. إنّه تعالى قد تحدّث عن نظام الحقّ قبل الآية وبعدها، وقال: ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾[1]، ثمّ بيّن آية المباهلة وقال: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[2]، ثمّ قال: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللهُ وَإِنَّ اللهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[3].

وللأسف لم يُبيِّن القوم سرّ الأفضليّة في الآية، فنحن سنفصح عنه بعون الله في كتابنا هذا ضمن عشرة أبواب رئيسة.

إبراهيم الأنصاري / مشهد المقدّسة

---

١) آل عمران: 60.
٢) آل عمران: 61.
٣) آل عمران: 62.

الباب الأول

السرّ الكامن في مفهوم أنفسنا

المحوريّة في المباهلة

إنّ أكثر العلماء نقلوا قصّة المباهلة وهي واضحة، ولكن نقلُ الحادثة شيءٌ، والعلم بالحادثة شيءٌ آخر. العالِم لا يلاحظ الكلمات فحسب، بل يلاحظ السياق أعني ترتيب الكلمات وصياغتها.

فكم فرقٌ بين قوله: «نساءنا وأنفسنا وأبناءنا» وبين قوله: «أبناءنا ونساءنا وأنفسنا»، فمجيء ﴿أَنْفُسَنَا﴾ قبل ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾ إن دلّ على شيء فيدلّ على محوريّته في الحادثة.

بحقّ الحسين

المباهلة من ناحية تشبه دعاء آدم عليه السلام بعد الهبوط، حينما تلقّى من ربّه كلمات، على ما روي عن ابن عبّاس، قال: سألت النبيّ صلى الله عليه وآله عن الكلمات الّتي تلقّاها آدم من ربّه فتاب عليه؟ قال: «سأله بحقّ محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين إلّا تُبْتَ عَلَيَّ، فتاب الله عليه»[٤].

وفي خبر آخر، قال: «يا حميد بحقّ محمّد، يا عالي بحقّ عليّ، يا فاطر بحقّ فاطمة، يا محسن بحقّ الحسن والحسين ومنك الإحسان، فلمّا ذكر الحسين سالت دموعه وانخشع قلبه...»[٥]، فالكلمة الأخيرة أدخلته في عالَم الحسين عليه السلام، وبذلك تخلّص من الأزمة الروحيّة الّتي ابتلي بها، وتاب الله عليه، إنّه هو التوّاب الرحيم.

فكذلك الأمر في المباهلة؛ حيث جاءت ﴿أَنْفُسَنَا﴾ في الأخير، وكان لها الدور الأساس في الابتهال! بل هنا الأمر أوضح كما سنبيّن.

البغي بينهم

فالنصارى بمجرّد ما سمعوا هذه الآية: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[٦]، وبيّن لهم سبحانه أنّه لا فرق بينهما من حيث الأب إلّا أنّ هناك فرقًا واحدًا من حيث المادّة الّتي خُلق منها آدم وهي «التراب»، فُوجِئوا بهذا الاستدلال أيّ مفاجأة! ولكنّ رغم ذلك لم ينصرفوا واستمرّوا في المحاجّة، فيا ترى ما الّذي جعلهم بعد ذلك يتراجعون؟

بمجرّد أن رأوا الترتيب الخاصّ الّذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله ميدانيًا تراجعوا وانهزموا؛ حيث أنّ ذلك الأسقف المسيحي أدرك ما في ذلك، فترك الساحة خائبًا خاسرًا.

---

٤) معاني الأخبار، ص125 ح1.

٥) بحار الأنوار، ج44 ص245 ح44.

٦) آل عمران: 59.

المفروض أنّ قائدهم – أعني الأسقف – يخضع للدليل ويستسلم لرسول اللهﷺ، ولكنّ خصلة سيّئة وهي البغي جعلته وأتباعه لا يخضعون للحقّ، قال تعالى في نفس السورة: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللهِ فَإِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[٧].

أكبر فضيلة

إنّ رسول اللهﷺ لم يُسمَح له المحاجّة ومن ثمّ المباهلة إلّا بعد أن تمّ الترتيب الخاصّ بين «الأبناء والنساء والأنفس»، وذلك لكي تتّضح أهمّيّة كلٍّ منهم وتبرز فضيلة ﴿أَنْفُسَنَا﴾ الّتي تعدّ أكبر فضيلة، وهي أمّ الفضائل، فقد وردت في الأحاديث أنّ المباهلة هي أكبر فضيلة لأمير المؤمنينع، نكتفي بما نقله الشيخ المفيدره، قال: قال المأمون يومًا للرضاع: أخبرني بأكبر فضيلة لأمير المؤمنينع يدلّ عليها القرآن.

فقال له الرضاع: «فضيلتُه في المباهلة، قال الله جلّ جلاله: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ﴾ الآية، فدعا رسول اللهﷺ الحسن والحسينعم فكانا ابنيه، ودعا فاطمة فكانت في هذا الموضع نساءه، ودعا أمير المؤمنينع فكان نَفْسه بحكم الله عزّ وجلّ.

وقد ثبت أنّه ليس أحد من خلق الله سبحانه أجلّ من رسول اللهﷺ وأفضل، فوجب أن لا يكون أحد أفضل من نفس رسول اللهﷺ بحكم الله عزّ وجلّ...»[٨].

ولكن رغم ذلك ينبغي توضيح سرّ الأفضليّة أكثر، ولأجل ذلك قرّرنا كتابة هذا البحث.

فنقول: قال العلّامة الحلّي: أجمع المفسّرون على أنّ ﴿أَبْنَاءَنَا﴾ إشارة إلى الحسن والحسين، و ﴿أَنْفُسَنَا﴾ إشارة إلى عليّع، فجعله الله نفس محمّدﷺ، والمراد: المساواة، ومساوي الأكمل الأولى بالتصرّف أكمل وأولى بالتصرّف، وهذه الآية أدلّ دليل على علوّ رتبة مولانا أمير المؤمنينع؛ لأنّه تعالى حَكَم بالمساواة لنفس رسول اللهﷺ، وأنّه تعالى عيّنه في استعانة النبيّﷺ في الدعاء، وأيّ فضيلة أعظم من أن يأمر الله نبيّه بأن يستعين به على الدعاء إليه والتوسّل به؟ ولمن حصلت هذه المرتبة؟[٩].

أقول: هذا هو توضيحٌ لحديث الإمام الرضاع.

---

٧) آل عمران: 19.
٨) الفصول المختارة، ص38.
٩) نهج الحقّ وكشف الصدق، ص177 – 179.

الله الصمد

قال الإمام الباقر عليه السلام في تفسير حقيقة هذه الكلمة: «لو وجدتُ لعلمي الّذي آتاني الله عزّ وجلّ حملةً لنشرتُ التوحيد والإسلام والإيمان والدين والشرائع من ﴿الصَّمَد﴾! وكيف لي بذلك ولم يجد جدّي أميرُ المؤمنين عليه السلام حَمَلَةً لعلمه حتّى كان يتنفّس الصعداء ويقول على المنبر: سلوني قبل أن تفقدوني؛ فإنّ بين الجوانح منّي علمًا جمًّا. هاهِ هاه، ألا لا أجد من يحمله، ألا وإنّي عليكم من الله الحجّة البالغة، فـ﴿لَا تَتَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾»[10].

أقول: هناك علاقة وثيقة بين قوله تعالى: ﴿اللهُ الصَّمَدُ﴾ وبين حقيقة ﴿أَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾؛ لأنّ مفهوم ﴿الصَّمَدُ﴾ يؤشّر إلى أنّه تعالى «مع كلّ شيء لا بمقارنة، وغير كلّ شيء لا بمزايلة»[12].

وعليه، هنا سؤال يطرح نفسه، وهو: إنّ صفات الله العليا وأسماءه الحسنى لا بدّ وأن تتجلّى في عالم التكوين والتشريع، فأين تَجلّى ﴿الصَّمَدُ﴾؟

ورد جوابه في دعاء كميل: «وبنور وجهك الّذي أضاء له كلّ شيء»[13]، ولا يخفى عليك أنّ «وجه الله» ليس هو ذات الله تعالى على ما ورد في الحديث عن الإمام الرضا عليه السلام: «من وصف الله بوجه كالوجوه فقد كفر، ولكنّ وجه الله أنبياؤه ورسله وحججه عليهم السلام، هم الّذين بهم يُتوجَّه إلى الله وإلى دينه ومعرفته»[14]، كما أنّ «نور الوجه» ليس هو نور الله، باعتبار أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد ملأ نورُه عالَمَ التكوين من الأرض إلى العرش وما فوق العرش، بل العرش خُلق من نوره[15].

وهذه الحقيقة – أعني النور المحمّدي – قد اتّصل بمولى الموحّدين أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام. فهو أيضًا متواجد في كلّ مكان من دون استثناء، بل لا مقام لأهل يثرب على حدّ تعبير السيّد الإمام قدّس سرّه، فهو قد نقل عن صدر المتألّهين في الأسفار هذه العبارة: «و أهل يثرب الإنسانيّة، لا مقام معلوم له، ولا حدّ محدود عنده»[16].

---

١٠) الممتحنة: 13.
١١) التوحيد (للصدوق)، ص92 ح6.
١٢) نهج البلاغة، ص40.
١٣) مصباح المتهجّد، ج2 ص844.
١٤) التوحيد (للصدوق)، ص117.
١٥) نوادر المعجزات (للطبري)، ص195 ح46، تأويل الآيات الظاهرة، ص144 نقلًا عن كتاب مصباح الأنوار (للشيخ الطوسي).
١٦) التعليقة على الفوائد الرضويّة، ج1 ص107.

وقال في شرح دعاء السحر: «وأمّا أهل يثرب: الإنسانيّة ومدينة النبوّة فلا مقام لهم، فلهذا صار حامل الولاية المطلقة العلويّة الّتي هي كلّ الشؤون الإلهيّة، وصار مستحقّة للخلافة التامّة الكبرى، وصار صاحب مقام الظلوميّة الّتي كما قيل هي التجاوز عن جميع المقامات وكسر أصنام الأنانيّات والإنّيّات، والجهوليّة الّتي هي الفناء من الفناء ومرتبة الجهل المطلق والعدم المحض»[١٧].

فهو إذًا متواجد ما وراء المكان والزمان، وهذا هو التوحيد في الخلافة بعينه، فكلّ شيء مليءٌ بمفهوم ﴿أَنْفُسَنَا﴾، ولا تخلو الأرض ولا السماوات من هذه الحقيقة، بل النفس المحمّدي العلوي – بالأصالة – ونفوس الأئمّة عليهم السلام – بالتبع – متواجدة في نفوس البشريّة جميعًا ناهيك عن غيرهم من الموجودات، ولذلك ورد في الزيارة الجامعة الكبيرة: «وأنفسكم في النفوس»[١٨].

فإنّ كلّ مكان وُجِدَت فيه نفسُ عليّ عليه السلام فهو مفتوح يمكن العبور منه والوصول من خلاله إلى ما لا نهاية، وأمّا غيره من الناس فعلى العكس من ذلك؛ حيث إنّ وجودهم يمثّل حجابًا لا ينفتح الطريق إلّا بإزالته والابتعاد عنه، فلا يجوز مقارنة نفسه عليه السلام بنفوسنا نحن المتورّطين في الهبوط والمنغمرين في الدنيا.

سدّ الأبواب إلّا بابه

الابتهال يعني فتح الطريق من الأرض إلى السماء بل إلى جميع العوالم بعد أن كان مغلقًا.

هذا الأمر العظيم لا يحصل إلى بعد تكوين حقيقة ﴿أَنْفُسَنَا﴾ الّتي من خلالها ينفتح مسير الإنسان إلى الله تعالى، فبمجرّد فتح هذا الطريق رَفَعَ رسول الله صلى الله عليه وآله يده إلى السماء وطلب من أصحاب الكساء رفع أيديهم أيضًا ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾.

فالابتهال كلّ الابتهال مرتبط بـ﴿أَنْفُسَنَا﴾ لا غير؛ لأنّ بهذا المفهوم الّذي قد تكوّن – ولأوّل مرّة – بواسطة أمير المؤمنين عليه السلام قد انفتح باب السماء كاملًا وأزيحت الحجب كلّها حتّى النورانيّة.

على ضوء ما قلنا يمكنك معرفة باطن الحديث المشهور بين الفريقين، وقد نقل بعبارات متعدّدة عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «قد بلغني ما قلتم في سدّ الأبواب، والله ما أنا فعلتُ ذلك، ولكن الله فعله»، وأيضًا: «والله ما أنا أمرتُ بسدّ أبوابكم ولا فتحتُ باب عليّ، بل الله أمرني به»[١٩].

---

١٧) شرح دعاء السحر، ص214.
١٨) من لا يحضره الفقيه، ج2 ص616.
١٩) دعائم الإسلام، ج1 ص17.

فكما تلاحظ في كلام النبيّ ﷺ إنّ الأمر صدر من جانب ربّ العالمين، فهو الّذي أراد ذلك فجعل لباب بيت عليٍّ هذه الصفة دون أبواب بيوت الصحابة مهما ارتقوا، فلا يقاس بآل محمّد أحدٌ من الناس، فلا تتصوّر بأنّ هذا مختصّ بمسجد النبيّ فحسب، بل هو بروز ميدانيّ لحقيقة فتح الباب العلوي إلى عنان السماء بل إلى العرش الأعلى وفوق العرش، كيف لا! واسمه مشتقّ من العليّ الأعلى.

الأسماء الحسنى

ولا بدّ أن نعلم بأنّ ﴿أَنْفُسَنَا﴾ تتلخّص في ﴿الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ الواردة في سورة طه، وقد ذكرت تلك الأسماء تفصيلًا في «دعاء البهاء» الّذي يُدعى به في أسحار شهر رمضان المبارك، والجدير بالذكر أنّ «دعاء يوم المباهلة»[٢٠] المرويّ عن الإمام الصادق عليه السلام يشبه كثيرًا «دعاء البهاء». وفي الحقيقة هذا الدعاء هو توضيح وتشريح للابتهال المذكور في الآية المباركة.

وقد بدأ الدعاء بقوله: «اللّهمّ إنّي أسألك من بهائك بأبهاه...»[٢١]، لاحظ شجرة الأسماء في هذا الدعاء، جذورها في الأعلى – وهو البهاء–، وأغصانها متفرّعة ومنتشرة في السماء، فهي الشجرة الطيّبة الّتي ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾[٢٢]، نشاهد ثمراتها الطيّبة في كتاب الله بعيان.

فحينما تبتهل وتقول: «اللّهمّ إنّي أسألك من نورك»، تشاهد توضيحه في سورة الصفّ والتوبة والنور.

وحينما تقول: «اللّهمّ إنّي أسألك من كلماتك»، تشاهد توضيحه في سورة البقرة.

وحينما تقول: «اللّهمّ إنّي أسألك من أسمائك»، تلاحظ توضيحه في سورة طه.

وهذا إن دلّ على شيء فيدلّ على أهمّيّة ﴿أَنْفُسَنَا﴾ في آية المباهلة، فكلّ من أراد أن يتعمّق في أسماء الله ويطّلع عليها تفصيلًا ينبغي له أن يغور أوّلًا في مفهوم ﴿أَنْفُسَنَا﴾؛ لأنّه تنزيل للأسماء الحسنى في الإنسان الكامل – أعني عليّ بن أبي طالب عليه السلام – فهو الكنز العظيم الّذي منحه رسول الله بإذن ربّه لأمير المؤمنين عليه السلام.

---

٢٠) مصباح المتهجّد، ج2 ص759 – 763.
٢١) الإقبال بالأعمال الحسنة، ج1 ص175.
٢٢) إبراهيم: 24 – 25.

وعليٌّ بابها

تصوّر أنّ جميع تلك الأسماء بكثرتها وشأنها هي مدينةٌ كبيرةٌ، فالّذي يترأّسها ويتحكّم في شؤونها هو أمير المؤمنين عليه السلام، فكلّ من قصد تلك المدينة لا بدّ أن يدخلها من بابها.

وحيث إنّ من مقاطع الدعاء هو طلب العلم من الله تعالى: «اللّهمّ إنّي أسألك من علمك بأنفذه»، فالعلم كلّه – الّذي أحاط بكلّ شيء – قد تجلّى في وجه الله، أعني: الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله.

ولكن كلٌّ من قصد دخول هذه المدينة لا طريق له إلّا أن يقصد الباب ويدخل منه، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها، فمن أراد المدينة فليأتها من بابها»[٢٣].

المباهلة وزيارة أمين الله

إنّ زيارة أمين الله مختصّة بأمير المؤمنين عليه السلام، وأمّا بالنسبة إلى سائر الأئمّة عليهم السلام فهي جارية فيهم، وقد أثبتنا ذلك في محلّه، فلو تعمّقنا في أبعاد هذه الزيارة وترتيب مقاطعها من حيث الصياغ لاكتشفنا أمرًا مهمًّا يساعدنا على فهم آية المباهلة.

هذه الزيارة هي تفصيل لما ذُكر مجملًا في آية المباهلة، فوَرَدَ في الآية: ﴿وَأَنْفُسَنَا﴾، وفي الزيارة: «السلام عليك يا أمين الله في أرضه»[٢٤]. وفي الآية: ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾، وفي الزيارة: «اللّهمّ فاجعل نفسي»، وقوله في الزيارة: «وألزم أعداءك الحجّة مع ما لك من الحجج البالغة على جميع خلقه»، تتناسب مع الاحتجاج الّذي ورد في قوله: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾.

وأمّا بإزاء قوله تعالى: ﴿فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾، هو «وكُفَّ عنّا أعداءنا، واشغلهم عن أذانا، وأظهر كلمة الحقّ واجعلها العُليا، وأدحض كلمة الباطل واجعلها السفلى، إنّك على كلّ شيء قدير».

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾[٢٥]، وقال: ﴿...وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾[٢٦].

---

٢٣) عيون أخبار الرضا 1: 233.
٢٤) كامل الزيارات، ص39 ح1.
٢٥) الشورى: 16.
٢٦) غافر: 5.

الباب الثاني
العلاقة بين المباهلة وسائر الولائيّات

تبيين وتوضيح

إنّها في الصميم، وهي قطب الرحى بالنسبة إلى سائر المقامات الروحانيّة الشامخة المختصّة بمولى الموحّدين عليه السلام.

هذا، وينبغي لنا ملاحظة المفاهيم العظيمة مترابطة غير متفرّقة، فلا يجوز فصل آية البلاغ، وآية التطهير، وردّ الشمس، وشقّ القمر، وآية رفع القواعد من البيت، عن آية المباهلة.

فلا يصحّ اعتبار كلّ واحدة منها فضيلة من فضائل أمير المؤمنين من دون النظر إلى المجموعة! بل ينبغي ملاحظة الجسد الكامل للفضائل، ومن ثمّ الانتقال إلى كلّ واحدة من تلك الفضائل على حدة ومقارنتها بالمحور.

فلندخل في ساحة بعض تلك المقامات لا جميعها، فإنّ ذلك فوق طاقة البشر، ولنَكتَفِ ببعضها:

الأولى: علاقة الغدير بالمباهلة

هذه العلاقة في كلمة واحدة هي: «إنّ واقعة الغدير وآثارها هي ثمرات عينيّة ميدانيّة لواقعة المباهلة».

سؤال يطرح نفسه: ماذا حدث في يوم الغدير؟

جوابه: أفصح رسول الله صلى الله عليه وآله عن أمر عظيم وهو: أنّ عليًا أيضًا هو ﴿أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾[٢٧]، وهذا يعني العينيّة بينه وبين نفسه، فأراد رسول الله صلى الله عليه وآله أن يجسّد هذه الصفة الربّانيّة ميدانيًا، بمعنى أنّ عليًا أصبح وليًا لأمر الرقيّ والعلوّ ففرض الله على الأمّة طاعته وأوجب تبعيّته؛ لأنّه هو الّذي له شأن قيادة الفرد والأمّة إلى الأعلى، فلا رقيّ ولا عروج للإنسان إلّا بالتّمسّك به عليه السلام، ولا هداية وتعالٍ للمجتمع إلّا بالاقتداء به، ذلك لأنّه قد أُعطيَ في المباهلة «تكوينًا» ما لرسول الله من ملأ نوره – الّذي هو نور الله – جميع العوالم والنشئات بل لو أردنا أن نتعمّق أكثر في هذه الخلافة الربّانيّة الّتي منحها رسول الله صلى الله عليه وآله عليًا عليه السلام بإذن الله ينبغي أن نركّز على حيطة الخلافة النبويّة الشاملة للإنس والجنّ، بل لجميع الملائكة المقرّبين والموكّلين بما فيهم المسوّمين الّذين كانوا يتنزّلون

٢٧) الأحزاب: 6.

على الرسول في ليلة القدر، وهكذا ينبغي للمؤمن معرفة شأن صاحب يوم الغدير، «أكرم باليد الّتي تَرفَع واليد الّتي تُرفَع».

هذا؛ وأمّا سائر الناس مهما بلغوا من الرتبة والمنزلة فهم من شجر شتّى! فلا أولويّة لهم بالمؤمنين من أنفسهم أبدًا. نعم، الأنبياء والأولياء عليهم السلام حسب فضائلهم، لهم أولويّة نسبيّة.

فتح باب السماء

لا فاعليّة للابتهال إلّا بعد فتح طريق السّماء؛ لأنّه هو بسط اليدين ومَدُّ الذراعين ورفعهما نحو السماء في حال التضرّع والاستكانة والبكاء، فعن الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام: «...هكذا الابتهال، ومدّ يده تلقاء وجهه إلى القبلة، ولا يبتهل حتّى تجري الدمعة»[٢٨].

فلكَي يتمّ الابتهال لا بدّ من تكوين مفهوم، عنوانه: ﴿أَنْفُسَنَا﴾، فلم ينفتح باب السماء في غدير خمّ إلّا من خلال بروز وتحقّق ﴿أَنْفُسَنَا﴾ في المباهلة.

الجدير بالتأمّل ما في ذيل كلام الرسول صلى الله عليه وآله: «اللّهمّ والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وانصر من نصره»، ثمّ قوله: «واخذل من خذله»[٢٩] الّذي هو في الحقيقة تفسير لقوله تعالى: ﴿فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾، فلا تغفل.

الثانية: علاقة الخاتميّة بالمباهلة

أظنّ أنّك عرفت سرّ الخاتميّة سواء على مستوى النبوّة أو على مستوى الخلافة والولاية فهي من فروع ذلك الشأن العظيم في المباهلة، فالنفس الّتي قد أصبحت تجلّيًا لـ﴿الصَّمَد﴾ قد استوعبت كلّ شيء بنحو مطلق من دون استثناء، وحينئذٍ لا مجال لسائر النفوس أن تَرفَع رأسها وتقوم على سوقها، بل هي ذليلة لنفوسهما عليهما السلام، بل لنفوسهم جميعًا عليهم السلام!

وهذا هو تفسير ما في زيارة الجامعة الكبيرة: «آتاكم الله ما لم يُؤتِ أحدًا من العالمين، طأطأ كلّ شريف لشرفكم، وبخع كلّ متكبّر لطاعتكم، وخضع كلّ جبّار لفضلكم، وذلّ كلّ شيء لكم، وأشرقت الأرض بنوركم، وفاز الفائزون بولايتكم»[٣٠].

لاحظ تسلسل هذه العبارات النورانيّة حيث تبدأ بنشأة الدنيا وما قبلها، وتنتهي بنشأة الأخرى.

---

٢٨) الكافي، ج2 ص480 ح3.
٢٩) دعائم الإسلام، ج1 ص16.
٣٠) من لا يحضره الفقيه، ج2 ص 615 – 616.

الثالثة: علاقة التطهير بالمباهلة

قال تعالى في شأن أهل البيت عليهم السلام: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[٣١].

هنا يتوجّه خطاب خاصّ لإبراهيم عليه السلام – وهو من أولي العزم من الرسل –، يطلب منه سبحانه أن يطهّر بيته الحرام في آيتين جديرين بالتأمّل والتدبّر من خلال ملاحظة الآيات الّتي جاءت قبلها وبعدها.

الآية الأولى: قوله تعالى ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾[٣٢].

هنا يطلب سبحانه من إبراهيم أن يطهّر مكان البيت، ومن الواضح أنّ هذه التطهير ليس بأمر سهل يمكن أن يأتي به أيُّ إنسان، بل هو أمر خاصّ معنويّ لا يتأتّى إلّا بيد نبيٍّ من أنبياء أولي العزم عليهم السلام، وهو الّذي سمّانا مسلمين.

الآية الثانية: قوله تعالى ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾[٣٣].

هذه الآية أيضًا بصدد بيان التطهير المعنوي، ويعني هنا رفع الحجب الظلمانيّة والنورانيّة من مسير البيت إلى العرش، أمّا الحجب الظلمانيّة فهي الجنّ والشياطين والأرواح الخشنة، وأمّا الحجب النورانيّة فهي الملائكة! والمطلوب هو تخلية هذه المساحة الّتي تبدأ بهذا البيت وتنتهي بالعرش، وتطهيرها من كلّ شيء، وذلك من أجل عروج وليّ الله إلى العرش ورجوعه إلى البيت، وهذا هو الطواف بعينه، وقد أطلق الطواف على السعي أيضًا في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾[٣٤]، فتأمّل.

هذا ولكن لا يتحقّق العروج إلّا بعد كون نفس الوليّ عليه السلام هو نفس النبيّ صلى الله عليه وآله، فبالنتيجة لا مجال لفتح باب السماء إلّا من خلال ﴿أَنْفُسَنَا﴾ في المباهلة،وهذا هو الّذي أرعب القوم فتراجعوا عن المباهلة حينما سمعوا ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾، أي: بعد تلك التوطئة والتمهيد على ما يستفاد من كلمة ﴿ثُمَّ﴾، فتأمّل.

---

٣١) الأحزاب: 33.
٣٢) الحجّ: 26.
٣٣) البقرة: 125.
٣٤) البقرة: 158.

فالطهارة الّتي أرادها الله لأهل البيت عليهم السلام – المذكورة في آية التطهير – ليست هي الهدف، بل هي من أجل تحقّق مقولة الطائفين والعاكفين والقائمين والرُّكّع السُّجُود، الّذين هم بالأصالة أميرُ المؤمنين ﴿أَنْفُسَنَا﴾ وبالتَّبَع جميعُ أهل البيت عليهم السلام.

وأبرز من ذلك قوله تعالى: ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾[35]، وقد ورد في تفسيرها عن الإمام الصادق عليه السلام: «يطهّرهم عن كلّ شيء سوى الله؛ إذ لا طاهرَ مِن تَدَنُّسٍ بشيءٍ من الأكوان إلّا الله»[36]، فبذلك يتمّ تطهير الروح.

الرابعة: علاقة الظهور بالمباهلة

هي شبيهة بالظهور، بل هي آية له من حيث تهيئة مقدّمات الظهور الّتي تتلخّص في أمور:

أوّلًا: تغيير القوانين

إنّ أمر ظهور الإمام المهديّ – عجّل الله فرجه – يتوقّف على التحوّل في القوانين المادّية وجريان قوانين البرزخ في الدنيا من خلال فتح أبواب السماء على الأرض، والدليل عليه هو أنّ أوّل من يبايع الإمام – أرواحنا فداه – بين الركن والمقام هو جبرئيل الأمين عليه السلام، كما وردت في أحاديث، نذكر منها حديثين:

الأوّل: روى محمّد بن مسلم، عن الإمام الباقر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾[37]، قال: «نزلت في القائم عليه السلام، وكان جبرئيل عليه السلام على الميزاب في صورة طير أبيض، فيكون أوّل خلق الله مبايعة له – أعني: جبرئيل – ويبايعه الناس الثلاثمائة وثلاثة عشر...»[38].

أقول: مشاهدة المَلَك بهذا الشكل الخاصّ – أي الطائر – على الميزاب، يعني أنّ قوانين العالم المادّي قد تغيّرت بسبب طيّ السماء كطيّ السجلّ للكتب وتحقّق الرتق بعد الفتق.

---

٣٥) الإنسان: 21.
٣٦) مجمع البيان، ج10 ص623.
٣٧) النمل: 62.
٣٨) الغيبة للنعماني، ص314 ح6.

الثاني: روى أبو بصير، عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: «لا يخرج القائم عليه السلام حتّى يكون تكملة الحلقة. قلت: وكم تكملة الحلقة؟ قال: عشرة آلاف، جبرئيل عن يمينه، وميكائيل عن يساره، ثمّ يهزّ الراية ويسير بها، فلا يبقى أحد في المشرق ولا في المغرب إلّا لَعَنَها، وهي راية رسول الله صلى الله عليه وآله نزل بها جبرئيل يوم بدر...»[٣٩].

الجدير بالذكر ما ورد في دعاء الافتتاح: «وحفّه بملائكتك المقرّبين، وأيّده بروح القدس يا ربّ العالمين».

فالقوانين البزخيّة بل الملكوتية سوف تتداخل مع القوانين الطبيعيّة في تلك الدولة المباركة، وكما قلنا أنّ المباهلة هي آية للظهور نشاهد نفس ذلك حَدَثَ هناك حينما جعل رسول الله صلى الله عليه وآله عليًّا عليه السلام مصداقًا لنفسه، وبالأحرى جعله مجرى الفيض الربّاني من السماء إلى الأرض، كما مرّ شرحه.

ثانيًا: الدعاء والابتهال

في يوم الله الظهور – وبالتحديد في صبيحته – يُطلب من المؤمنين الصبر والتوجّه إلى الدعاء والمناجاة وقراءة القرآن والصلاة، وهي الآليّة الأساسيّة لأمر الظهور، وبذلك يتجسّد جبرئيل وينفتح باب السماء فيظهر الإمام عليه السلام بعد الغيبة الطويلة.

ونلاحظ في قصّة المباهلة الأمرَ كان بنفس السياق؛ حيث طلب من رسول الله الصبر حتّى تتمّ الأمور من خلال النظم الخاصّ والترتيب المميّز بين الأبناء والنساء، ومن ثمّ انفتاح باب السماء برفع الأيادي الطاهرة المطهّرة، وأيضًا من خلال ﴿أَنْفُسَنَا﴾.

ثالثًا: جريان الإذن الإلهيّ

كلّ ما يُشاهد من أمر الإمام المهدي – عجّل الله فرجه – وأمر المباهلة إنّما يتمّ بإذن الله تعالى، فالأمر المشترك بين قصّة الظهور ومقولة المباهلة يكمن في حاكميّة القوانين الخاصّة من خلال التنسيق المميّز، ومن ثمّ مجيء الإذن الإلهي، ولذلك أجّل رسول الله صلى الله عليه وآله اللقاء معهم إلى اليوم التالي لكي يأذن الله له، وبذلك ينفتح باب السماء فيستجاب دعائهم عليهم السلام، ويُنفَّذ اللعن على أعدائهم.

---

٣٩) الغيبة للنعماني، ص307 ح2.

الباب الثالث

نقاط رئيسة في آية المباهلة

مقدّمةً لا بدّ وأن نذكر نقاط مهمّة تساعدنا في مجال معرفة القرآن الكريم واستخراج أسراره:

النقطة الأولى

إنّ قصّة نصارى نجران كسائر الحوادث ليست هي شأن نزول الآية كما يقال، بل هي «ذريعة النزول» لا غير، فلا شأن في البين، بل أصبحت الذرائع سببًا لنزول الآية الّتي سوف تظهر في المستقبل وتُشاهَد رأي العين، وذلك بواسطة مفهوم ﴿أَنْفُسَنَا﴾ أعني أمير المؤمنين عليه السلام، ونحن بانتظار تحقّق هذه الآية، خاصّة قوله: ﴿فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾، حيث سنشاهد قريبًا هلاك المشركين بنزول شتّى أصناف العذاب عليهم كما دلّت على ذلك عشرات الآيات والأحاديث.

النقطة الثانية

بما أنّ العلم في قوله: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ هو مظهر علم الله تعالى، لا ما قيل في المنطق: «إنّه مجرّد التصوّر والتصديق»، بل هو تجسيدٌ وفعلٌ وإعمالٌ، فبالنتيجة أنّ الّذي تحقّق هناك حين المباهلة عبارة عن:

أوّلًا: قد حُدّد مصداق ﴿أَبْنَاءَنَا﴾ بدقّة وثُبّت ذلك.

ثانيًا: قد حُدّد مصداق ﴿نِسَاءَنَا﴾ أيضًا وثُبّت.

ثالثًا: قد وُجد ولأوّل مرّة مصداق ﴿أَنْفُسَنَا﴾، وبعبارة أدقّ: قد فتح الله بابه وأفصح به رسوله وكشف عنه بعد ما كان مستورًا في العوالم.

على ضوئه، انفتح الطريق إلى الأعلى، وثُبّت ذلك باسم مولى الموحّدين عليه السلام، ومن ثمّ قد فُعّل الابتهال وبُيّنت معالمه وتأثيره الإيجابيّ الفوريّ الناتج من اجتماع العترة الطاهرة، أعني الأنوار الخمسة أصحاب الكساء عليهم السلام.

النقطة الثالثة

إنّ مفهوم ﴿أَنْفُسَنَا﴾ هو بعينه مفهوم رفع القواعد من البيت الّذي حقّقه إبراهيم عليه السلام بإذن الله تعالى.

والجدير بالذكر أنّ الله سبحانه يُذكّر رسولَه ﷺ بذلك الأمر المهمّ، هذا ما يفهم من ظرف الزمان ﴿إِذْ﴾ في قوله: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[٤٠].

وذلك لأنّ هذه الحادثة الروحانيّة العظيمة لها مساس مباشر مع قضيّة الابتهال المتوقّف على حقيقة ﴿أَنْفُسَنَا﴾ كما بيّنّا، وهذه المهمّة التي أنجزها النبيّ إبراهيم عليه السلام رغم أنّها تنطلق من نفس مهمّة نبيّ الإسلام ﷺ إلّا أنّها تتناسب مع شأنه وقدراته المتواضعة مقارنة بمقام الرسول الخاتم ﷺ الذي ﴿دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾[٤١].

ومن اللطيف هنا أنّ إبراهيم عليه السلام لم يرفع القواعد من البيت إلّا بعد أن تعرّف على تلك الكلمات الطاهرة التي ابتلي بها فيما بعد فأصبح إمامًا للناس، قال تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[٤٢].

هذا إن دلّ على شيء فيدلّ على أنّ رفع القواعد له علاقة وثيقة بإمامة المعصومين من ذرّيته عليهم السلام، وله ارتباط مباشر بمقولة ﴿أَنْفُسَنَا﴾ في واقعة المباهلة.

والحاصل: أنّ الصورة الشاملة للمباهلة كانت مخيّمة على موضوع «رفع القواعد» و «إمامة إبراهيم» ولكن في إطار محدود متناسب مع رسالة إبراهيم عليه السلام، فتأمّل.

النقطة الرابعة

رغم كثرة المراجع والعلماء طوال ١٤٠٠ سنة، إلّا أنّ عالمًا واحدًا فقط قد وُفّق لفتح طريق السماء واكتساب الفيوضات الكثيرة من الملأ الأعلى وأهمّها النصرة المؤزّرة.

فيا ترى ما هو السرّ في ذلك!

لا شكّ أنّ السرّ يكمن في إقامته جوار الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام – أعني ﴿أَنْفُسَنَا﴾ – طوال خمسة عشر سنة، وزيارته لجدّه في كلّ ليلة بالزيارة الجامعة الكبيرة، ومن ثمّ الابتهال.

فمَن خلّصه من تركيا العثمانيّة وسلّمه لجدّه أمير المؤمنين عليه السلام، هو الّذي فتح له الباب فتمسّك بالسبب المتّصل بين الأرض والسماء فارتقى إلى الأعلى وكانت لرقيّه آثارًا خفيّة في نفسه، وآثارًا جليّة في مجتمعه حيث انتصرت ثورته المباركة وتجسّدت الآية: ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾[٤٣]

٤٠) البقرة: 127.
٤١) النجم: 8 – 9.
٤٢) البقرة: 124.
٤٣) الإسراء: 81.

. وهذا الانجاز منقطع النظير يندرج ضمن الخطّة الربّانيّة الّتي بدأت في زمن إبراهيم مكسِّر الأصنام؛ الّذي طهّر البيت ورفع قواعده إلى العرش، ومرورًا بالمباهلة وانطلاقًا نحو تحقّق الانتصار العظيم للإمام المهدي – عجّل الله فرجه – الّذي به يملأ الله الأرض قسطًا وعدلًا كما ملئت ظلمًا وجورًا.

وخلاصة القول: أنّ للأدعية والابتهالات المستمرّة في عصر الغيبة دورًا فعّالًا ورئيسًا في هلاك الأعداء ونزول اللعن عليهم وإبادتهم.

الباب الرابع

أهمّيّة الغاية القصوى

نحو تأويل الظاهر

سؤال شائع بيننا بخصوص واقعة الطفّ المؤلمة وأمثالها من الحوادث الّتي حلّت على الإمام بالأصالة وعلى الأمّة بالتبع كسقيفة بني ساعدة، والهجوم على بيت النبوّة، ورشق النبال نحو جنازة الإمام الحسن السبط عليه السلام، وسائر ما وقع عليهم من قبل أئمّة الجور، فالسائل يقول:

رغم أنّ أهل البيت عليهم السلام قد انفتح لهم باب المباهلة من خلال نفس رسول الله صلى الله عليه وآله وكان بإمكانهم أن يستعينوا بتلك النفس العالية – أعني جدّهم أمير المؤمنين – فيبتهلوا ويُهلكوا الأعداء، فلِم لم يغتنموا الفرصة؟!

فبخصوص واقعة كربلاء: علمًا بأنّ سيّد الشهداء عليه السلام كان متواجدًا حين المباهلة مع رسول الله صلى الله عليه وآله وهو بقيّة الماضين وخامسهم، فلماذا لَم يَنتهز عليه السلام ذلك في تلك الواقعة من أجل الحفاظ على نفسه وأهل بيته وأصحابه، وذلك بإنزال اللعن من السماء على القوم الكافرين وأزلامهم، وبالنتيجة إبادتهم على بكرة أبيهم من خلال نزول العذاب عليهم قاطبةً.

في الجواب أقول:

علمًا بأنّ المباهلة خصوصًا موهبتها العظيمة – أعني ﴿أَنفُسَنَا﴾ – هي آية، فرسالتها الأولى هي رسالة غايتها القصوى دولة الإمام المهدي – أرواحنا فداه – الّتي تندرج ضمن النظام الإلهيّ الّذي أدّى إلى غيبة الإمام؛ حيث توقّفت الأمور الغيبيّة والمواقف التأويليّة وتمحّضت

نحو الظاهر والتنزيل!

وقُبَيل الظهور حينما تنكشف المغيبات وتظهر للناس عامّة وخاصّة، وينتشر الظلم في صبغته غير الظاهريّة – وهي الدخانيّة على حدّ تعبير القرآن الكريم – وهو الأشدّ، وذلك من خلال تجسّم الموجودات الخفيّة مثل الجنّ والشياطين والسَّحَرَة!! ونزول أنواع العذاب على الأمّة، وقد ذكر سبحانه قسمًا منها في هذه الآية حيث قال: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾[٤٤].

ولأجل الخلاص من هذا النمط من العذاب، سوف تُفعَّل مقولةُ الأنفس المعنويّة، وتُفعَّل آيةُ المباهلة في لباسها المتناسب مع تلك الأجواء الصعبة الخطيرة!

فيا ترى ماذا سيحدث بعد ذلك؟ هذا ما بُيِّن في سورة الفلق؛ حيث يَفلق الظلام، فيبدأ النور في الظهور والانتشار، وعلى أثره يَتخلّص البشر ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ * وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾[٤٥]، وسوف ينتصر الحقّ على الباطل، فالحقّ مع عليّ وعليّ مع الحقّ، يدور معه حيث دار.

من هنا تعرف السرّ في ما قلنا سابقًا بأنّ آية المباهلة قد وقعت بين «حقّ» قبلها و «حقّ» بعدها؛ أمّا قبلها فقوله: ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾[٤٦]، وأمّا بعدها فقوله: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللهُ وَإِنَّ اللهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٤٧].

والجدير بالذكر أنّ كلمة ﴿الْحَقّ﴾ قد تكرّرت في سورة آل عمران اثنتي عشر مرّة!

هذا وقد شرحنا هذا الأمر – ﴿الفلق﴾ – في تبيين خريطة سورة الفلق.

تصوير للاعتصام بحبل الله ﴿أَنْفُسَنَا﴾

تخيّلْ عزيزي أنّك تستيقظ من النوم صباحًا وأنت على قمّة الجبل جالس في غرفتك المطلّة على الوادي الجميل حيث الأشجار العالية والأزهار الجميلة تفوح منها رائحة عطرة وأنت مشغول بالدعاء عقيب الصلاة. تنظر من نافذتك فتشاهد بدهشة وذهول حديقةً كبيرة معلّقة في السماء، تتعجّب منها فتخاطب نفسك مستغربًا: حديقةٌ في السماء! تتأمّلها بدقّة فتشاهد تلك الحديقة وكأنّها مرفوعة بمنطاد كبير، بها رُفعت إلى الأعلى!

٤٤) الأنعام: 65.
٤٥) الفلق: 2 – 5.
٤٦) آل عمران: 60.
٤٧) آل عمران: 62.

ثمّ تلقي الطرف نحو مرتفع أعلى متأمّلًا فترى أرضًا أخرى تشتمل على حديقة أخرى أجمل من تلك، فتعجب كلّ العجب وتنادي: الله أكبر! ماذا أرى! وما هذه القصّة!

تخرج من غرفتك فإذا بالنور قد اشتدّ سطوعًا، فتنظر إلى الأعلى فتشاهد آلاف من تلك الحدائق المعلقّة! إلهي، هل هذا رُؤى أو حقيقة!

تتقدّم إلى الأمام حتّى تصل إلى ضفاف النهر فإذا برجل نورانيٍّ جالس هناك وبالتحديد تحت تلك الحدائق المعلقة فتشاهد العجب العجاب!

تراه ماسكًا بحبل وكأنّه من زجاج تنشعب منه خيوط رقيقة، كلّ خيط مربوط بواحدة من تلك الحدائق بواسطة تلك البالونات، يتحكّم فيها حيث إنّها في قبضته.

تتقرّب إليه فيستقبلك بحفاوة وحسن خلق فتخاطبه بما يجول في ذهنك وتقول: إنّك حقيقة معجزة!

فإذا به يتبسّم! والعجب أنّ نفس تبسّمه يكون سببًا لجريان المياه وتغرّد الطيور! يا للعجب! يسألك هل ترغب في الصعود إلى الأعلى والسكون في تلك الجنّات؟ إذن تمسّك بالحبل من دون أن تبذل جهدًا للصعود!

فبمجرّد أن تمسك الحبل النوراني لا تشاهد نفسك إلّا وأنت تجول في حديقة من تلك الحدائق الناضرة البهيّة، تتلذّذ من جمالها وصفائها ومناظرها الخلّابة.

فيا أحبّتي: هذا التصوير الجميل هو واقع أقرب منه للخيال، أكثرنا لا يصدّقه غير أنّه غيض من فيض يجسّد لنا شأن أمير المؤمنين عليه السلام وقواه العظيمة وفيوضاته المباركة ومنزلته السامية، وهو أقلّ ما ينبغي تصوّره حين ظهور الإمام المهدي عليه السلام، فيا لها من أجواء معنويّة عظيمة تحكمها قوانين ما وراء المادّة يتمنّى كلّ إنسان أن يُدركها.

آية المباهلة هي في الحقيقة منصّة الانطلاق نحو الجنّة العالية في السماوات، وهو تفسير لكلمة «الابتهال» بعد التعرّف بل الدخول في ساحة ﴿أَنْفُسَنَا﴾، فتأمّل.

كما أنّ آية الاعتصام بحبل الله النوراني – أمير المؤمنين – أيضًا تستهدف ترفيع الأمّة من العمق إلى الأعلى حسب مستوى التقوى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ * وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا...﴾[٤٨]،

٤٨) آل عمران: 102 – 103.

وكما قلنا: لا حاجة للسعي في هذه الساحة، بل المهمّ التمسّك بالحبل بشدّة وعدم التخلّي عنه، كما أنّه تعالى لا يريدنا أن نرتفع بوحدنا ونترك الآخرين غير مهتمّين بمصيرهم، بل لا بدّ وأن نشجّع الآخرين إلى الصعود والرقّي، وهذا هو معنى ﴿اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا﴾[٤٩] الّذي جاء بصيغة الجمع.

فمن الظلم الكبير أن نجهل هذه المراتب السامية لمولى الكونين ولأبنائه المعصومين عليهم السلام ونكتفي بالعلم المتواضع الّذي لا يتخطّى الأرض! كما نسمع كثيرًا في توصيف وليّ العصر – أرواحنا فداه – بصفات ظاهريّة جسمانيّة كشكل الوجه والحاجب والشعر وطول القامة والجمال الظاهريّ واسم الأب والأمّ، وأنّه يخرج حين يخرج لابسًا ثوبًا عربيًا، ماسكًا سيف ذو الفقار، وراكبًا فرسَ ذو الجناح، وما شابه ذلك! إنّها أمور هامشيّة لا داعي للتركيز عليها.

الباب الخامس

درجات ﴿أَنْفُسَنَا﴾ عند أولي العزم من الرسل

الدرجة الأولى: ﴿أَعْيُنِنَا﴾

شيءٌ من حقيقة ﴿أَنْفُسَنَا﴾ ظهر للنبيّ نوح عليه السلام وهو يتمثّل في ﴿أَعْيُنِنَا﴾، فكانت جميع مواقفه وحركاته وسكناته تقع تحت إشراف عين الله، كما قال سبحانه: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾[٥٠]، وأيضًا: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ * تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ﴾[٥١].

الدرجة الثانية: الحنيفيّة

بعد حوالي ألف سنة، جاء دور النبيّ إبراهيم عليه السلام حيث حظي برؤية ملكوتيّة من ﴿أَنْفُسَنَا﴾: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾[٥٢]، فنقلها إلى عالم الدنيا حيث تمثّلت في ﴿مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ﴾[٥٣]، وبدأ يبرمج حياته بالكامل طبقًا للحنيفيّة الّتي هي «التنسيق العملي» مع الخطّة المحمّدية العلويّة الفاطميّة المستقبليّة من دون أن يتخطّاها قيد أنملة.

٤٩) آل عمران: 103.
٥٠) هود: 37.
٥١) القمر: 13 – 14.
٥٢) الأنعام: 75.
٥٣) البقرة: 125.

الدرجة الثالثة : الآية الكبرى

بعد مئات السنين ظهر وجهٌ آخر من أهل البيت عليهم السلام للنبيّ موسى عليه السلام، وهو ما شاهده حين مواجهة فرعون حيث ظهرت في مقولة عظيمة قد أرعبته، وهي ﴿ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ﴾[٥٤]؛ فرأى وجهًا من وجوه أمير المؤمنين عليه السلام – ﴿ أَنْفُسَنَا ﴾ – رأي العين، وقد مرّ شرح هذا في سورة طه.

الدرجة الرابعة : ﴿ رُوحَنَا ﴾

بعد مرور مئات السنين فإذا بالروح العرشي بعينه نزل على النبيّ عيسى بن مريم عليه السلام – ذلك الروح الّذي نفخ في أبي البشر آدم عليه السلام : ﴿ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي ﴾[٥٥]–، وقد تجلّى فيه وأيّد به: ﴿ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾[٥٦]، وهو أيضًا وجه آخر من وجوه أهل البيت عليهم السلام ذي الطابع الواحد.

الدرجة الخامسة : ﴿ أَنْفُسَنَا ﴾

بعد حدود ستّمائة سنة وبعد سير تكوينيّ طويل جاء دور رسول الله صلى الله عليه وآله، فلم يُنزَّل الروحُ عليه فحسب، بل تمّ ارتباطه بتمام العرش وتمام الملكوت فربط الدنيا بهما فتجسّدتا وظهرتا في حقيقة ﴿ أَنْفُسَنَا ﴾؛ حيث اجتمعت كافّة الكمالات من العلم والقدرة والرحمة والغضب لله وغيرها فيه عليه السلام، فأصبح لرسول الله صلى الله عليه وآله نورًا ووزيرًا ومؤيّدًا ومعزّزًا ودعمًا وشاهدًا. فصاحب الخزينة – وهو رسول الله صلى الله عليه وآله – قد خوّل الأمر كلّ الأمر لأمين سرّه، وهو أمير المؤمنين عليه السلام.

والحاصل: أنّه بدأت هذه المقولة بالتدريج من ﴿ أَعْيُنِنَا ﴾ حتّى وصل النور الكبير الملكوتي، ثمّ الآية الكبرى المرئية في الدنيا من دون الجسم، ثمّ روح القدس من خلال عيسى عليه السلام، ومن ثمّ تجسّد في شخصه عليه السلام الّذي استوعب كلّ العوالم، وأصبح مظهرًا لـ﴿ الصَّمَد ﴾.

---

٥٤) طه: 23.

٥٥) الحجر: 29، سورة ص: 72.

٥٦) البقرة: 87 و 253.

الباب السادس

الارتقاء والتعالي بواسطة أحمد

نور وجه الله

حيث إنّ كلام أهل البيت عليهم السلام كالقرآن الكريم نابع من عالم الوحدة والمعنى، لذلك نشاهد الترابط الوثيق بل الهوهويّة في كلامهم؛ سواء على صعيد الأحاديث أو الأدعية والزيارات.

وبخصوص المباهلة شاهدنا الترابط الوثيق بين زيارت أمين الله وبين الآية المباركة.

والآن وبعد أن تعرّفنا على ﴿أَنْفُسَنَا﴾ وأنّه يستوعب العوالم أجمع بحيث لا يوجد شيءٌ من الأشياء إلّا هو قائم عليه باعتبار اسم القيّوم الّذي هو من أسماء الله تعالى وتجلّياته – وليس هو الله – أقول:

دعاء كُمَيل في بدايته أيضًا بصدد تبيين هذا الأمر بشيء من التفصيل، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «اللّهمّ إنّي أسألك برحمتك الّتي وسعت كلّ شيء، وبقوّتك الّتي قهرت بها كلّ شيء، وخضع لها كلّ شيء، وذلّ لها كلّ شيء، وبجبروتك الّتي غلبت بها كلّ شيء، وبعزّتك الّتي لا يقوم لها شيء، وبعظمتك الّتي ملأت كلّ شيء، وبسلطانك الّذي علا كلّ شيء، وبوجهك الباقي بعد فناء كلّ شيء، وبأسمائك الّتي ملأت أركان كلّ شيء، وبعلمك الّذي أحاط بكلّ شيء، وبنور وجهك الّذي أضاء له كلّ شيء»[٥٧].

فلو انطلقت من حقيقة التوحيد وأنّه لا إله إلّا هو، يمكنك أن تتعرّف على مغزى هذه العبارات النورانيّة، فكلّ هذه الصفات قد صدرت عنه تعالى وحده، ولكن هناك من هو مَجرى هذه الفيوضات الربّانيّة الّذي نُطلق عليه: واسطة الفيض، غير أنّني أؤكّد أنّه لا دور مستقلّ لهم أبدًا غير ما ورد في هذه العبارة خطابًا للإمام الحسين عليه السلام: «إرادة الربِّ في مقادير أموره تهبط إليكم وتصدر من بيوتكم»[٥٨]، ومن الواضح أنّه شامل لجميع الأئمّة عليهم السلام. ولذلك بعد بيان تلك الصفات قال: «يا نور، يا قدّوس، يا أوّل الأوّلين، ويا آخر الآخرين»، وهذا يعني أنّه تقدّس هذا النور من أن يكون مثل سائر الأنور الظاهريّة الحسّيّة.

والجدير بالذكر أنّ قوله عليه السلام في الدعاء بعد التوصيف الآنف: «اللّهمّ اغفر لي الذنوب الّتي تهتك العصم...» بمنزلة قول الله تعالى في آية المباهلة: ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾، فتأمّل.

هذا، وعندما نقول بأنّ حقيقة ﴿أَنْفُسَنَا﴾ قد ملأت كلّ شيء، ينبغي أن لا نتصوّر بأنّ ذلك أمرٌ حسيٌّ كنور الشمس الّذي قد ملأ فراغًا واستوعبه، كلّا! بل عبوديّة الإمام عليه السلام المستمرّة المتتالية المتواترة هي الّتي اقتضت ذلك، فملأت كلّ شيء نورًا ورحمة.

---

٥٧) مصباح المتهجّد، ج2 ص844.

٥٨) الكافي، ج4 ص577.

وللتقريب إلى الأذهان وإمكانيّة تصوّر هذا الأمر أذكر لكم مثالًا:

نحن نشاهد صورة مترابطة في التلفاز قد ملأت الشاشة وكأنّها قطعة واحدة، والحال أنّها تتكوّن من عناصر وهي ما تسمّى(PIXEL) :، هكذا ما هو المشاهد في عالم التكوين بين الأرض والسماء من المعنى الّذي ملأ الأجواء فهو في الواقع دوام الذكر والصلوات والمناجاة الصادر من أهل البيت عليهم السلام، وقد ورد في إذن دخول الحرم: «وفتحت باب فهمي بلذيذ مناجاتهم»[٥٩]، وبذلك قد تكوّن بحرٌ من نور يمكننا السباحة فيه لو أردنا ذلك، أما ترى أنّ الملائكة ينتهزون الفرصة فيغوصون في بحر أنوارهم عليهم السلام؟ قال تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ * وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾[٦٠]، إنّها تتنقّل من السماء إلى الأرض وهي تسبح في بحر نور وجه الله تعالى وتتمسّح بها كما فعل فطرس الملك، ففي حديث الإمام الصادق عليه السلام الطويل، قال: «فتمسّح فطرس بالحسين بن عليّ عليهما السلام وارتفع»[٦١]، وهذا هو أهمّ سبب من أسباب نزول الملائكة إلى الأرض، ولذلك ورد في الصلوات الشعبانيّة، وفي الزيارة الجامعة: «مختلف الملائكة»[٦٢].

فيا عزيزي: ينبغي لك أن تقحم نفسك في هذا البحر النوراني – أعني نفس رسول الله – كما قال عليّ عليه السلام: «وأنا البحر القَمْقام الزاخر»[٦٣].

إشارة تربويّة

من نتائج هذه الواقعة الّتي قد أصبحت ذريعة للرسول صلى الله عليه وآله – وهو أمر صادر من الله تعالى – هو أن تتعرّف الأمّة على العترة الطاهرة المطهّرة، وشأنهم العظيم عند ربّ العالمين، وهذا من أبرز مصاديق تكريم العائلة – النساء والأولاد –، فلتكن هي رسالة لنا لتكريم أولادنا اقتداء بسيرته وتشبّهًا به خصوصًا حين الدعاء والابتهال، فالمباهلة هي المنطلق لتعريف الأمّة منزلة الخمسة أهل الكساء عليهم السلام.

هذا، ولا شكّ أنّ مصداق ﴿أَنْفُسَنَا﴾ منحصر في أمير المؤمنين عليه السلام إلّا أنّنا بانتسابنا به يمكن أن نكتسب نفحة من هذه الفضيلة الشامخة.

---

٥٩) المزار الكبير (لابن المشهدي)، ص55.
٦٠) الصافّات: 166 – 167.
٦١) كامل الزيارات، ص66.
٦٢) من لا يحضره الفقيه، ج2 ص610.
٦٣) مناقب آل أبي طالب، ج3 ص387.

العلم

على ضوئه ندخل في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ...﴾[٦٤].

فماذا يعني ﴿مِنَ الْعِلْمِ﴾؟ وما هو مصداقه؟ وما هي حقيقة هذا العلم الّذي جرى عليه ﷺ، وبالنتيجة اختلف موقفه مع النصارى.

والجواب: بناء على ما قلنا، نستنتج أنّه ليس المقصود من العلم مجرّد معلومات بحتة اطّلع عليها رسول الله ﷺ، بل هو نوع من الإعمال وتجسيد حقائق ثلاثة ﴿أَبْنَاءَنَا﴾ ﴿نِسَاءَنَا﴾ وأهمّها مقولة ﴿أَنْفُسَنَا﴾ الّتي ملأت السماوات والأرض، فالمباهلة لم يكن لها مفعول قبل العلم، بل أصبحت ذات مفعول بعد ما جاءه من العلم.

ببيان آخر: قلنا في الباب السابق بأنّ مقولة ﴿أَنْفُسَنَا﴾ كانت متواجدة على مستوى يتناسب مع الأنبياء ﷺ، ثمّ حين ظهور الإسلام أصبحت تتكامل في العوالم حتّى وصلت إلى قمّتها، والآن وبعد بروز ﴿أَنْفُسَنَا﴾ لا يجوز السكوت، بل ينبغي الوقوف قبال هؤلاء القوم، وهذا هو تفسير قوله تعالى: ﴿...مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ...﴾، تلاحظ كيف أصبح رسول الله ﷺ بواسطة أخيه ونفسه ذا قوّة ودعم وشوكة، وهذا هو مفهوم ﴿اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي﴾[٦٥] الوارد في قصّة موسى وهارون ﷺ.

الصاعد والنازل

إنّ دعوة أهل الكتاب بالمباهلة هو أمرٌ صادر من الله عزّ وجلّ، وذلك حينما وُجدت مقولة ﴿أَنْفُسَنَا﴾ بواسطة النبيّ الأكرم ﷺ بإشارة واحدة حيث انفتح بها باب السماء، فالّذي صعد من الأسفل هو الابتهال: ﴿نَبْتَهِلْ﴾، والّذي نزل من الأعلى هو اللعن: ﴿فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾.

كلّ ذلك إنّما تمّ بفضل ﴿أَنْفُسَنَا﴾ حيث تكوّن واكتمل في نفس اليوم في وجود أمير المؤمنين بالأصالة والأئمّة بالتبع، فتكوين ﴿أَنْفُسَنَا﴾ أصبح له أثرٌ كبير في قوسَي الصعود والنزول، ولذلك اختصت زيارة أمين الله به ﷺ.

الأدعية المأثورة

إنّ الابتهال يعني الصعود إلى الأعلى بواسطة جوانب مع الأبعاد النورانيّة من أهل البيت ﷺ – وهي ﴿أَنْفُسَنَا﴾ – وهو خاصّ بأمّة أحمد ﷺ.

---

٦٤) آل عمران: 61.

٦٥) طه: 31.

وعلى هذا الأساس تميّزت أدعية هذه الأمّة عن أدعية الأمم السابقة، والسرّ في ذلك: أنّ أنبياءهم عليهم السلام لم تنفتح لهم أبواب السماء كاملةً، فأصبحت أدعيتهم منحصرة بمقولات خاصّة غاية ارتفاعها هو ملكوت السماوات والأرض والكرسيّ، كما حصل للنبيّ إبراهيم عليه السلام حيث دخل في الملكوت، وجرّاء ذلك انفتح له بابٌ ربَطه بمقام رفيع لا يتجاوز السماوات والأرض!

وأمّا رسول الله صلى الله عليه وآله ونفسُه عليٌّ عليه السلام وأهلُ بيته عليهم السلام – مضافًا إلى ارتباطهم بل عروجهم إلى ملكوت كلّ شيء بلا استثناء – ارتقوا إلى حيث أتوا، وهو العرش العظيم بل ما فوق العرش – أعني: عالم الأنوار –، كما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام: «سلوني عمّا فوق العرش، سلوني عمّا تحت العرش، سلوني قبل أن تفقدوني»[٦٦].

ومن هنا تعرف السرّ في عمق أدعيتنا نحن أتباع أهل البيت عليهم السلام كالمناجاة الشعبانيّة – الّتي يُطلب فيها كمال الانقطاع – ودعاء السحر وغيرهما من الأدعية، خصوصًا ما في الصحيفة السجّاديّة.

وبالنتيجة: فإنّ ﴿أَنْفُسَنَا﴾ يعتبر بناءٌ شامخ يمكّن أمّة الرسول من العروج بالابتهال إلى أعلى عليّين؛ حيث أنّ بابه مفتوح لهم من دون الآخرين، ولذلك قال الله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾[٦٧].

هناك أحاديث كثيرة في تبيين الآية المباركة، منها: ما روي عن محمّد بن الفضيل، عن أبي الحسن عليه السلام، قال: «نحن المحسودون»[٦٨]، كما أنّ أبرز مصاديق ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ هو ﴿أَنْفُسَنَا﴾.

نصارى نجران

رغم أنّ الّذين حاجّوا الرسول صلى الله عليه وآله هم ليسوا بحواريّين، بل هم مجموعة من نصارى نجران مشركين، بينهم وبين نبيّهم عيسى عليه السلام فاصل كبير يصل إلى حوالي ٥٠٠ سنة أو أكثر، ولكن مع ذلك كانوا في الظاهر منتمين إلى عيسى عليه السلام ومعدودين من أمّته، ولا شكّ أنّ المسيح عليه السلام وهو رابع أنبياء أولي العزم، كانت لديه منزلة رفيعة وإن كانت في مساحة محدّدة وإطار ضيّق مقارنةً برسول الله محمّد صلى الله عليه وآله، إلّا أنّه هناك قاصم مشترك بين المجموعتين – على ما يفهم من الآية المباركة – حيث جاء فيها: ﴿أَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾، فالجهتان لديهما ارتباط بالأعلى جعلهما يدخلان في هذه الساحة بكلّ جرأة وشجاعة!

---

٦٦) الفضائل (لابن شاذان القمّي)، ص137.
٦٧) النساء: 54.
٦٨) الكافي، ج1 ص206 ح2.

ولكن بمجرّد أن عاينت النصارى تلك الشخصيّات المعروفة لديهم المذكورة أسماؤهم في الإنجيل، وهم الّذين أشار إليهم سبحانه في قوله: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾[٦٩]، وأيضًا شاهدوا بوضوح أمير المؤمنين عليه السلام قد أصبح نفس رسول الله صلى الله عليه وآله، وقارنوا منزلتهم بمنزلتهم، فحينئذٍ لم يكن لهؤلاء القوم بُدٌّ إلّا الاستسلام والتراجع عن ادّعائهم الكاذب خوفًا من العذاب والهلاك.

واعلم أنّ كلّ ما قلنا خاصّ بالنصارى، وأمّا اليهود المغضوب عليهم فلا نصيب لهم من هذه المنزلة قيد أنملة.

على ضوئه تعرف لماذا جعل سبحانه الجهة المعارضة بما لديهم من أحبّاء في قبال رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: «أَبْنَاءَكُمْ، نِسَاءَكُمْ، أَنْفُسَكُمْ»، فبعد هذا البيان والتوضيح لا أظنّك أيّها الموالي تتأسّف من جعل العترة الطاهرة قبال الزمرة الضالّة، فتأمّل.

بالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ

لاحظ سورة الصفّ؛ حيث عُرّف رسول الله صلى الله عليه وآله بأنّه رجلٌ سماويّ ضمن نظام «أَحْمَدُ»، والمفروض أنّ الأمّة هي الّتي تصعد فتلتقي به، ولكن بما أنّ الأمّة لا تسعى للصعود وتتهاون في ذلك فالرسول الرؤوف بالمؤمنين هو بنفسه أناخ إليهم في نظام «محمّد» ليأخذ بيدهم ويسحبهم إلى الأعلى ويُحيِيهم بعد أن أصبحوا موتى؛ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[٧٠].

فما أدراك من هو رحمة الله الواسعة وباب نجاة الأمّة! ولكن هيهات أن تستجيب الأمّة للرسول!

فيا عزيزي: ينبغي لنا الدخول في الأسماء الحسنى الإلهيّة من أجل الرقي إلى الأعلى، ولن يتحقّق ذلك بأجسامنا الخشنة وأرواحنا المتعلّقة الأسيرة بتلك الأجسام، فكيف بها أن تصعد إلى الملأ الأعلى! قال تعالى: ﴿...اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[٧١].

٦٩) البقرة: 146 – 147.
٧٠) الأنفال: 24.
٧١) التوبة: 38.

ابتهال السحر

إنّ دعاء السحر – أو ابتهال السحر – هي المباهلة بعينها[٧٢]، فكلّ ما ذكر فيه من الجمال والنور والرحمة والقدرة وغيرها، هي من فضائل ﴿أَنْفُسَنَا﴾ ظهرت في أمير المؤمنين وأهل البيت عليهم السلام.

ويمكننا العثور على مصاديق كلّ اسم من تلك الأسماء في القرآن الكريم، وإليك بعض تلك التطبيقات:

الأوّل: النور

قال تعالى في سورة الصفّ: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[٧٣]، وفي سورة التوبة: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[٧٤]، وفي سورة النور: ﴿اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[٧٥]، وهي كما تلاحظ تبين لحقيقة النور المذكور في قوله: «اللّهمّ إنّي أسألك من نورك».

الثاني: الكلمات

قال تعالى في سورة البقرة: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[٧٦]، وفي سورة الأنعام: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[٧٧]، وهما تبيين للكلمات المطلوبة في قوله: «اللّهمّ إنّي أسألك من كلماتك».

الثالث: الأسماء

قال تعالى في سورة طه: ﴿اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾[٧٨]، وفي سورة الحشر: ﴿هُوَ اللهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٧٩]، فهي الّتي يدعو بها العبد في قوله: «اللّهمّ إنّي أسألك من أسمائك».

---

٧٢) الإقبال بالأعمال الحسنة، ج1 ص175.
٧٣) الصفّ: 8.
٧٤) التوبة: 32.
٧٥) النور: 35.
٧٦) البقرة: 37.
٧٧) الأنعام: 115.
٧٨) طه: 8.
٧٩) الحشر: 24.

وكم هو جميل أنّ كلّ جانب من ﴿ أَنْفُسَنَا ﴾ الّذي ينطلق من خلالها العبد في الابتهال قد خُصّصت لها آية أو سورة، وهذا يدلّ على أهمّيّة الأمر؛ ذلك لأنّ الوصول إلى صفات الله تعالى وأسمائه صعبٌ مستصعب، وأصبح العبد في وشك الابتعاد عنها لولا رحمة ربّ العالمين للأمّة – الّتي ظهرت في ﴿ أَنْفُسَنَا ﴾ –، فهو تعالى الّذي نزّل ﴿ أَنْفُسَنَا ﴾ ودعانا إلى الدخول في هذا الكنز العظيم الّذي سُلِّم لعليّ عليه السلام، فباب هذه المدينة هو الإمام عليّ عليه السلام.

وأمّا قولك: «اللّهمّ إنّي أسألك من علمك بأنفذه»، فجميع العلم لرسول الله صلى الله عليه وآله، ولكنّ الدخول في هذا العلم لا يتأتّى إلّا من خلال باب علي عليه السلام.

أظنّك وبعد التعمّق في ﴿ أَنْفُسَنَا ﴾ عرفت مغزى قوله صلى الله عليه وآله: «أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها»، وهذا معنى ما ورد في دعاء الندبة: «ثمّ أودعه علمه وحكمته»[٨٠]، وكذلك سائر الصفات والأسماء؛ حيث سدّ الأبواب إلّا بابه، فتأمّل.

يا عزيزي: ينبغي أن تنوّر روحك بنورهم عليهم السلام ليخفّ، فيطير ويتعلّق بعزّ القدس. فحينما تزور مشاهد الأئمّة عليهم السلام لا تكتفِ بالتجوال في الصحن الشريف وفي الرواق والحرم، بل انظر إلى الجانب الأعلى وحاول الرقيّ والصعود، فإنّ هذه البقعة متّصلة بعرش ربّ العالمين، خاصّةً حينما نقرأ الدعاء بعد الزيارة كدعاء علقمة أو الدعاء بعد زيارة الإمام الرضا عليه السلام.

الباب السابع
الحيّ القيّوم

﴿ أَنْفُسَنَا ﴾ بصيغة الجمع

اعلم بأنّ ﴿ أَنْفُسَنَا ﴾ إنّما تعني: مجموعة نفوس قد ظهرت بأوجه مختلفة حسب العوالم والنشئات، وبعبارة أخرى: رغم كونها نفس واحدة وهي الولاية العلويّة المحمّديّة الّتي هي نور وجه الله الّذي ملأ كلّ شيء، إلّا أنّها تجلّت بتجلّيات مختلفة نذكر ثلاثة وجوه منها، وهي:

الوجه الأوّل: ما شاهدها إبراهيم الخليل عليه السلام حينما رأى ملكوت السماوات والأرض، وهي النور، كما تشير إليه آية الملكوت، وكذلك الأحاديث الواردة في تفسيرها.

نتيجة هذه المشاهدة هي البلوغ إلى مرحلة الحنيفيّة البريئة عن الشرك مطلقًا.

---

٨٠) المزار الكبير (لابن المشهدي)، ص576.

الوجه الثاني: ومن تلك النفوس هي ﴿ذِي الْعَرْشِ﴾[٨١]، وهو المستقرّ على العرش، وله السلطة الكاملة على كلّ ما دون العرش، فهو المَلَك الّذي يُدير كلّ ما دون العرش من خلال الكرسي الرفيع، ولذلك ورد عن عليّ عليه السلام: «أنا الكرسيّ»[٨٢]، والكرسيّ هو محلّ المُلك الإلهيّ.

الوجه الثالث: هي أعلى مُستوىً وأرفع شأنًا، وقد ظهرت في المشيئة، كما روي عن أبي عبد الله عليه السلام: «خلق الله المشيئة بنفسها، ثمّ خلق الأشياء بالمشيئة»[٨٣].

واعلم أنّ المشيئة لها إحاطة قيّوميّة على جميع الموجودات، وتستوعب كافّة العوالم بلا استثناء، وهذا يعني: أنّ اختيار الأشياء ذوي الإرادة ناتج عن المشيئة، بحيث أنّها جميعًا تكون ظهوراتها، ولذلك قال تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾[٨٤]، وفي الزيارة الجامعة: «آثاركم في الآثار»[٨٥]، وعلى أساس ما بيّنّا من شأن ﴿أَنْفُسَنَا﴾ نستنتج: أنّ جميع عالم الخلق في وجوده متّصل بوجود أمير المؤمنين عليه السلام.

لا مؤثّر في الوجود إلّا الله

إلى هنا قد أجبنا على سؤالين من ثلاثة أسئلة مهمّة:

السؤال الأوّل: ما هي نسبة النفس إلينا؟

السؤال الثاني: ما هي نسبتها إلى رسول الله؟

السؤال الثالث: وما هي نسبتها إلى الله تعالى؟

ففي الجواب عن السؤال الأوّل والثاني قلنا: بأنّنا حين التعرّف على أهل البيت عليهم السلام ينبغي أن نُدرك مقامهم السامي في عالم التكوين، ومن ثمّ لنا أن ندعو ونبتهل، كما أنّ ارتباطها بنفس رسول الله صلى الله عليه وآله أيضًا مهمّ للغاية، باعتبار أنّ ظهور النفس العلويّة هو ظهور النفس المحمّديّة بلا فرق.

هنا يأتي دور الإجابة على السؤال الثالث والأهمّ، وهو: علاقة الأنفس بالله تعالى بحيث لا يخلّ ذلك بالتوحيد الّذي هو الأساس أبدًا، وهو محور حديثنا التالي.

---

٨١) الإسراء: 42، التكوير: 20.
٨٢) مشارق أنوار اليقين، ص253.
٨٣) الكافي، ج1 ص110 ح4.
٨٤) الأنفال: 17.
٨٥) من لا يحضره الفقيه، ج2 ص616.

لا يخفى عليك بأنّ عنوان سورة آل عمران – المشتملة على آية المباهلة – هو ما ورد في الآية الثانية، وهو قوله تعالى: ﴿اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾[٨٦]، هذا من ناحية.

كما أنّ الآية الّتي وردت بعد آية المباهلة مباشرة دالّة على ذلك، وهي قوله: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللهُ وَإِنَّ اللهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٨٧].

و﴿الْحَقُّ﴾ يعني النظام الإلهيّ المطابق للواقع من دون اعوجاج، وكأنّ السائل يسأل: فما دور هؤلاء المجتمعين في هذه الساحة للمباهلة، خاصّة ﴿أَنْفُسَنَا﴾؟ فيجيب سبحانه: أنّه لا دور لهم إلّا واسطة صعود الرحمة، ونزول العذاب واللعن على القوم الكاذبين!

فليست هناك اثنينيّة في البين، بل هي – أعني ﴿أَنْفُسَنَا﴾ – مهما اختلفت أوجهها إلّا أنّها في نفس سياق التوحيد لا تتخلّف عنه قيد أنملة.

وأمّا قوله: ﴿مَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللهُ﴾، هل يعني هنا: لا معبود إلا الله؟

أقول: لو لاحظنا ما يدّعيه النصارى من أنّ عيسى بن مريم عليه السلام ابن الله! واقتصرنا على ذلك من دون ملاحظة حقيقة ﴿أَنْفُسَنَا﴾ فيعني ذلك.

وأمّا لو لاحظنا حقيقة ﴿أَنْفُسَنَا﴾ وأنّه ملأ كلّ شيء نورًا ورحمةً وكان هو السبب في قوسَي الصعود والنزول كما مرّ، فالأمر يختلف، وحينئذٍ لا ضرورة أن نفسّر ﴿الإله﴾ هنا بالمعبود.

لاحظ هذه الآيات وتأمّل فيها، هل تفهم من التهليل هنا معنى العبوديّة لا غير؟

١– ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ...﴾[٨٨].

٢– ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾[٨٩].

٣– ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[٩٠].

٤– ﴿اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾[٩١].

---

٨٦) آل عمران: 2.
٨٧) آل عمران: 62.
٨٨) الأعراف: 158.
٨٩) التوبة: 129.
٩٠) هود: 14.
٩١) طه: 8.

فلا بأس بأن نشير إلى ما ذكره الإمام الخميني – قدّس سرّه – حيث ركّز في بعض كتبه على التوحيد وفسّر مفهوم التهليل.

نستعرض هنا نَصَّيْن من كتابَين:

أحدهما: قال﵀: «وفي عقيدة الكاتب أنّ جميع العلوم هي عمليّة حتّى علم التوحيد، ولعلّه يستفاد كونه عمليًا من كلمة التوحيد الّتي هي تفعيل؛ لأنّه بحسب ما يناسب الاشتقاق، التوحيد عبارة عن التوجّه من الكثرة إلى الوحدة، وجعل جهات الكثرة مستهلكة ومضمحلّة في عين الجمع، ولا يحصل هذا المعنى بالبرهان، بل يلزم أن ينبّه القلبُ بالرياضات القلبيّة والتوجّه الغريزي إلى مالك القلوب، ما أفاده البرهان بقطع حتّى يحصل حقيقة التوحيد. نعم، إنّ البرهان يقول لنا: لا مؤثّر في الوجود إلّا الله، وهذا أحد معاني لا إله إلا الله»[٩٢].

ثانيهما: «فلا مؤثّر في الوجود إلّا الله، إلّا أنّ المرائي مختلفة في ظهور الربوبيّة، فربّ مرآة ظهر فيها الربوبيّة المقيّدة المحدودة على حسب مرتبتها من المُحيطيّة والمُحاطيّة حتّى تنتهي إلى المرآة الأتمّ الأحمديّة الّتي لها الربوبيّة المطلقة والخلافة الكلّيّة الإلهيّة أزلًا وأبدًا، فجميع دائرة الخلافة والولاية من مظاهر خلافته الكبرى، وهو الأوّل والآخر والظاهر والباطن، وجميع الدعوات دعوات إليها، وهي مرجع الكلّ ومصدره، ومبدأ الكلّ ومنتهاه، والله من ورائهم محيط»[٩٣].

أهمّيّة التوحيد

من اللازم أن نتدبّر في الآية الثانية من سورة آل عمران – الّتي هي عنوان هذه السورة المباركة – في مرحلتين: ١– اللّه لا إلهَ إلّا هو. ٢– الحيّ القيّوم.

المرحلة الأولى: فهناك فرق بين قولنا: «الله الكريم، الله الرحيم، الله الغفور، الله الودود، الله الصمد»، فهذه كلّها توصيف لله تعالى.

وبين قولنا: «الله لا إله إلّا هو»، فهذا ليس توصيفًا بل هو أعلى منه، يريد سبحانه تبيين مقام الله الّذي هو ربّ العالمين ومنزلته وشأنه العظيم، وذلك من خلال إبعاد كلّ ما سواه من هذا الشأن، ومن ثمّ إثباته له سبحانه.

---

٩٢) آداب الصلاة، ص175.

٩٣) تعليقات على شرح فصوص الحكم، ص38 – 39.

فالإلهيّة هي مقام خاصّ لله تعالى، ومنزلة لا يجوز إسنادها لأحد غيره.

وهذه الكلمة – لا إله إلّا الله – تختلف قراءتها ولحنها عن سائر الكلمات، فهي صادرة عنه تعالى في لحنٍ ذي صلابة مفهومًا ومصداقًا.

ولذلك نشاهد أنّه تعالى غيور على هذه الكلمة بحيث أنّه كلّ من تعرّض لها سوف يُواجَه بشدّة لا نظير لها في الدنيا والآخرة. لاحظ هذه الآيات:

﴿ ... وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا ﴾[٩٤].

﴿ ... وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾[٩٥].

﴿ ... إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾[٩٦].

﴿ حُنَفَاءَ للهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾[٩٧].

كلّ ذلك إن دلّ على شيء فيدلّ على أهمّيّة التوحيد وتثبيته، ونفي الكفر والشرك.

لذلك: علينا نحن العبيد أن ننطق بها لا كجملة خبريّة فحسب، بل نشدّد في ذكرها، خاصّة حينما نتعرّف على ما يلي.

المرحلة الثانية: قوله تعالى ﴿ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾.

وهذا الآية المباركة تتطلّب شيئًا من التوضيح، فأقول:

أمّا ﴿ إله ﴾: فيعني ذلك الوجود المطلق المشتمل على جميع الصفات الثبوتيّة، والمبرّى عن جميع الصفات السلبيّة، وهو في مرتبة من العظمة والكبرياء ليس كمثله شيء، وكلّ ما يصدر منه مُعجز يثير عجب كلّ من وما هو في عالم التكوين من الإنس والجنّ والملائكة وسائر الموجودات حتّى الجمادات! فكلٌّ إليه والهٌ خصوصًا قلوب المخبتين كما في زيارة أمين الله: « اللّهمّ إنّ قلوب المُخبتين إليك والِهَة »، فلا مؤثّر في الوجود غيره، وبطبيعة الحال لا معبود سواه، فتأمّل.

٩٤) النساء: 48.
٩٥) النساء: 116.
٩٦) المائدة: 72.
٩٧) الحجّ: 31.

وامّا ﴿الحيّ القيّوم﴾: فقد وردت الصفتان معًا في ثلاث سُوَر، وهي:

سورة البقرة: ﴿اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾[٩٨].

وسورة طه: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾[٩٩].

وسورة آل عمران: ﴿الم * اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾[١٠٠].

امّا بالنسبة إلى آية الكرسي؛ فجعل سبحانه «الكرسيَّ» وسعته تجلّيًا وظهورًا لصفتَي ﴿الحيّ القيّوم﴾.

وقوله: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ هو تفسير لـ﴿القيّوم﴾ القائم على السماوات والأرض، ونرى هذه الحقيقة قد بيّنت في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا﴾[١٠١]. ومن مصاديق ﴿الحيّ﴾ في السماوات والأرض، قوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾[١٠٢].

هذا، وقد ظهرت مقولة الحياة في الآيات الّتي بعدها، وهي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ...﴾[١٠٣].

وقوله: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللهُ بَعْدَ مَوْتِهَا...﴾[١٠٤].

وقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي...﴾[١٠٥].

---

٩٨) البقرة: 255.
٩٩) طه: 111.
١٠٠) آل عمران: 1 – 2.
١٠١) النساء: 126.
١٠٢) الإسراء: 44.
١٠٣) البقرة: 258.
١٠٤) البقرة: 259.
١٠٥) البقرة: 260.

تلاحظ أنّها بصدد بيان حقيقة الرجعة، ومن ثمّ القيامة. وكذلك هناك آيات كثيرة في نفس السورة، تُعدُّ فروعًا لهذه الشجرة المباركة الّتي تأصّلت في آية الكرسي.

وأمّا ما في سورة طه المباركة: فهي بصدد اندكاك الأنانيّة بالكامل يوم القيامة في قبال ﴿الْحَيّ الْقَيُّوم﴾.

وأمّا ما في سورة آل عمران: فهي محور حديثنا فنقول:

إنّ السورة بصدد بيان ﴿القيّوم﴾ الّذي هو التوحيد في الخلافة، وبدأت من قوله تعالى: ﴿اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾، وهي نازلة من مقام ﴿ألف لام ميم﴾ في الكتاب المكنون، وهي أصل الشجرة الطيّبة في بداية السورة، وفروعها منتشرة بشكل مُلفت في جميع السورة المباركة، فهي مصداق لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾[١٠٦].

إنّ ﴿الحيّ﴾ بعد ﴿اللهُ لا إله إلّا هو﴾ يبيّن لنا التوحيد في النظام الإلهيّ الشامل، ولا يعقل أن يبقى ﴿الحيّ﴾ من دون قيام وحركة وفعل، ولذلك جاء بعده ﴿القيّوم﴾، وهذا هو التوحيد في الخلافة، والسورة المباركة بصدد تثبيت التوحيد في الخلافة، وتبيين الواسطة بين الخالق والمخلوق من خلال تثبيت القيّوميّة، علمًا بأنّ ﴿القيّوم﴾ متفوّق على ﴿الحيّ﴾ ومقدّم عليه، لا منزلةً بل ظهورًا، بمعنى أنّ ﴿القيّوم﴾ هو الظاهر، و﴿الحيّ﴾ هو الباطن، وقوام الحيّ بالقيّوم، فتأمّل.

قال: ﴿الم * اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ ولم يَكتَفِ بذلك، بل وصف نفسه بصفتَي ﴿الحيّ القيّوم﴾، وهذا يعني أنّه تعالى يريد جرّ التوحيد إلى وادي الحيّ وإلى وادي القيّوم، يريد توحيدًا متلوّنًا بهما ومتلبّسًا بلباسهما لا غير، وبذلك أصبحت السورة بأكملها ذات صبغة توحيديّة ولائيّة.

عيسى بن مريم عليه السلام والحياة

بما أنّ اسم السورة ومحتواها مرتبطة أشدّ الارتباط بعيسى بن مريم عليه السلام وأهل الكتاب التابعين له، أصبح من اللازم وقبل التعمّق في ﴿القيّوم﴾ الإشارة إلى ﴿الحيّ﴾ في هذه السورة وهو صفة الله تعالى، فهو بطبيعة الحال يعني الإحياء؛ حيث لا يعقل أن يبقى الحيّ بلا فيض الإحياء.

إنّ عيسى بن مريم عليه السلام جاء ليُحيي الموتى؛ أعمّ من موتى القلوب الأحياء في الأبدان! والأموات في الأبدان الفاقدين الحياة.

---

١٠٦) إبراهيم: 24.

قال تعالى في نفس السورة: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللهِ آمَنَّا بِاللهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[١٠٧]، فأراد بذلك أن يُحييَهم بإدخالهم في ساحة أنصار الله، ومن ثمّ تأييدهم بروح القدس وجعلهم في خيمة ﴿القيّوم﴾، فهما – أعني: ﴿الحيّ القيّوم﴾ – في الحقيقة رداءان.

فعندما قال الحواريون: ﴿آمنّا بالله﴾، فهم قد لَبسوا رداءَ الحيّ ورداء القيّوم، ومن ثمّ نطقوا بذلك، فكأنّهم قالوا: إلهنا، نحن آمنّا بك حيث أفضت «الحياة» إلى عيسى من خلال «روح منّا» فخلقته من غير أبٍ، وأيّدته بـ﴿القيّوم﴾ من خلال ﴿روح القدس﴾ وأعطيته من المعجزات العجيبة، هذا هو معنى ﴿آمنّا بالله﴾.

مصاديق ﴿الحيّ﴾ في السورة

والآن حان الحين للبحث والعثور على مصاديق الصفتين، ثمّ العثور على علاقتها بمقولة ﴿أَنْفُسَنَا﴾.

المصداق الأوّل من مصاديق ﴿الحيّ﴾ في السورة المباركة هو: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ * مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ﴾[١٠٨].

والمصداق الأوّل من مصاديق ﴿القيّوم﴾ هو: ﴿...وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾[١٠٩]، ولا شكّ أنّ ﴿الفرقان﴾ ليس هو القرآن؛ لأنّه قد ذكر الله تعالى ﴿الْكِتَابَ﴾ في الآية السابقة.

ولذلك أصبح ﴿الفرقان﴾ غير القرآن والكتاب، بل هو منحصر في أهل البيت عليهم السلام؛ حيث إنّهم يفرّقون ميدانيًا بين الحقّ والباطل، ولذلك لا يمكننا معرفة الكتب السماويّة إلّا بواسطتهم، فليس بوُسْعنا أن نعرف أيّ كتاب من الكتب السماويّة إلّا من خلال أهل البيت عليهم السلام، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[١١٠]، وقد اجتمعوا كلّهم في شخصيّة أمير المؤمنين عليه السلام.

فبالنتيجة: أصبح ﴿الفرقان﴾ باعتبار أهمّيّة موقعه – بالنسبة إلى الكتب السماويّة – هو ﴿القيّوم﴾.

---

١٠٧) آل عمران: 52.
١٠٨) آل عمران: 3 – 4.
١٠٩) آل عمران: 4.
١١٠) النحل: 43 – 44.

المصداق الثاني بيّنه سبحانه من خلال ذكر مثال بإزاء ﴿الحيّ﴾ وقال: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾. وأمّا قوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[١١١]، فهو توضيح لـ﴿القيوم﴾، فبعد الإحياء تبدأ التربية والرشد والتقويم، وكلّها آثار العزّة والحكمة.

المصداق الثالث وهو قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾[١١٢].

فالآيات المتشابهات هي من بروزات ﴿الحيّ﴾، والمحكمات هي ظهور ﴿القيّوم﴾؛ حيث إنّها قائمة على المتشابهات ومفسّرة لها.

وهذا المصداق له علاقة وثيقة بآية المباهلة، فجميع الآيات المتشابهة هي بإزاء ﴿أَبْنَاءَنَا وَنِسَاءَنَا﴾، والآية المحكمة بإزاء ﴿أَنْفُسَنَا﴾، فكما أنّ الآيات المتشابهة تفسَّر من خلال الآيات المحكمة، كذلك أهل البيت عليهم السلام يُعرَفون من خلال أمير المؤمنين عليه السلام.

المصداق الرابع قد بيّن في آية المباهلة كفرع من فروع ﴿الحيّ القيّوم﴾، فقوله تعالى ﴿أَبْنَاءَنَا وَنِسَاءَنَا﴾ مصداقٌ وظهور لـ﴿الحيّ﴾ في عالم التكوين بما للكلمة من معنى، غير أنّهما مرتبطان بـ﴿أَنْفُسَنَا﴾ وقائمان به، فهو عليه السلام هنا مصداق لـ﴿القيّوم﴾ على سائر أهل البيت عليهم السلام فضلًا عن غيرهم من الخلق! وهذا قد ثبت في محلّه.

والجدير بالذكر: إنّه بعد التأمّل نَصِلُ إلى نتيجة لطيفة، وهي:

إنّه صلى الله عليه وآله أُعطيَ ﴿نساءنا﴾ وهو بإزاء ﴿الكتاب﴾ المذكور في بداية السورة، وأُعطي ﴿أبناءنا﴾ وهما بإزاء ﴿التورات والإنجيل﴾ المذكورَين في البداية، وكلاهما قائمان بـ﴿الفرقان﴾ وهو ﴿أنفسنا﴾ المتجلّي في حقيقة الولاية المحمّديّة العلويّة. فللكتاب والإنجيل والتوراة حرمة خاصّة عند الله، ولكنّها مرتبطة أشدّ الارتباط بالفرقان! فلا تغفل.

قصّة التوحيد

الآن وعلى ضوء ما بيّنّا يمكنك معرفة عمق هذه الآية الّتي هي بمنزلة العود على البدء وتأكيد التوحيد.

---

١١١) آل عمران: 6.

١١٢) آل عمران: 7.

قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللهُ وَإِنَّ اللهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[١١٣].

ولا يفوتك ذيل هذه الآية ومقارنته بذيل الآية السابعة من السورة؛ حيث قال: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[١١٤].

نصيحة وتوصية

يا عزيزي، عليك بالتوحيد الأصيل الّذي لا يتمّ إلّا من خلال معرفة الإله أوّلًا، ثمّ الحيّ ثانيًا، ثمّ القيّوم ثالثًا، وهذه الاعتقاد الراسخ سوف يكون له أثرٌ كبير في إصلاح الذات واعتلائه.

فإن طلبت الحياة الأبديّة بالوصال بالله ﴿الحيّ﴾ فينبغي أن تستجيب لله ورسوله، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا للهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ...﴾[١١٥]، وإن أحببت أن تقوم على سوقك حرًّا عزيزًا أبيًّا شجاعًا رجلًا رافعَ الرأس فلا بدّ أن تلازم ﴿القيّوم﴾ وتفنى فيه، قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[١١٦].

التشابه أو العينيّة

لا بدّ وأن نعلم بأنّ الدين – بما فيه من تشعّبات وفروع وأصول وأحكام – هو أمر واحد ينطلق من عالم الوحدة، فلا تظنّنّ أنّ هناك اختلافًا أو تباينًا بين المفردات الدينيّة أبدًا، ولو توهّمت أنّ هناك نوعًا من التفاوت بينها فخَطِّئْ نفسَك بدلًا من تخطئة الإسلام، ثمّ ارجع البصر كرّتين هل ترى من فطور!

على هذا الأساس – وعطفًا على ما سبق – أقول: هل تتذكّر حديثنا عن تابوت العهد، وأنّ دعاء حفظ الإمام – عجّل الله فرجه – هو نفس تابوت العهد بفارقٍ راجع إلى كيفيّة التبيين والعرض، وهو:

---

١١٣) آل عمران: 62.
١١٤) آل عمران: 6.
١١٥) الأنفال: 24.
١١٦) الفتح: 29.

إنّ التابوت جسم مادّيّ يحكمه قانون غيبيّ: «فيه كلّ ما يريده الوليّ» ودعاء الحفظ مقولة معنويّة يبيّنها الإنسان من خلال القراءة باللسان أو الكتابة.

تجسيد الصلاة قبل الدعاء

نفس ذلك يجري في الصلاة على محمّد وآل محمّد قبل الدعاء؛ حيث تجسّدت هذه المقولة في مصداقين:

أحدهما: حسّيّ ميدانيّ، وهو تجمّع الخمسة الطاهرة المطهّرة محمّد وآله عليهم السلام في الساحة، علمًا بأنّ الإمام الحسين عليه السلام هو الّذي يمثّل الأئمّة التسعة: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾، ومن ثمّ الابتهال ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾.

ثانيهما: ما نلاحظها في الأدعية؛ حيث تبدأ بالصلاة على محمّد وآل محمّد، وفي مطاويها يأتي ذكر فضائلهم، ثمّ الدعاء والطلب من الله تعالى.

لاحظ هذه الفقرات من دعاء أبي حمزة الثمالي: «اللّهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد، واختمْ لي بخير، ... اجمَعْ بيني وبين المصطفى وآله خيرتك من خلقك وخاتم النبيّين محمّد صلى الله عليه وآله، وانقلني إلى درجة التوبة إليك، وأعِنّي بالبكاء على نفسي، ... واستعملني بطاعتك وطاعة رسولك محمّد صلى الله عليه وآله أبدًا ما استعمرتني، واجعلني من أوفر عبادك عندك نصيبًا في كلّ خير أنزلته وتُنزله في شهر رمضان في ليلة القدر»[١١٧].

الباب الثامن

حديث الكساء

الكساء اليماني

ميدانيًّا ومن باب الدعوة إلى الحقّ عملًا، نشاهد ذلك في الواقعة العظيمة الغيبيّة المذكورة في حديث الكساء المنقولة عن جابر بن عبد الله الأنصاري، عن فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: سمعت فاطمة عليها السلام أنّها قالت: «دخل عليَّ أبي رسول الله صلى الله عليه وآله في بعض الأيّام، فقال: السلام عليك يا فاطمة، فقلت: عليك السلام. قال: إنّي أجد في بدني ضعفًا، فقلت له: أعيذك بالله – يا أبتاه – من الضعف.

١١٧) مصباح المتهجّد، ج2 ص 587 – 595.

فقال: يا فاطمة، آتيني بالكساء اليماني فغطّيني به، فأتيته بالكساء اليماني فغطّيته به، وصرت أنظر إليه وإذا وجهُهُ يتلألأ كأنّه البدر في ليلة تمامه وكماله»[118].

في البدء أرى من المناسب هنا أن أتطرّق إلى هذا الضعف المذكور في الحديث، فأقول:

إنّه وإن كان في بدنه الشريف ولكن لم ينشأ من الجوع ولا من العمل الجسماني، بل الظاهر هو الإرهاق الطبيعي الّذي كان ينتابهﷺ جرّاء نزول جبرئيلعليه السلام عليه؛ لأنّ الوحي هو «قول ثقيل» كما في قوله: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾[119].

وأيضًا محمّدٌﷺ – الرؤوف الرحيم بالمؤمنين – كان يُتعب نفسه من أجل هدايتهم حتّى يبلغ مرحلة «الشقاء» الجسماني، كما ورد في قوله تعالى: ﴿طه * مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾[120]، هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى: كان * صلوات الله عليه – غيورًا بالنسبة إلى التكاليف الإلهيّة، فتهاوُنُ القوم وعدمُ اهتمامهم بها كان يرهقه ويُؤذيه، ولذلك خاطبه سبحانه: ﴿...فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾[121]، ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾[122]، فيا ترى أين يكمن الحلّ؟

دور فاطمةعليها السلام

ليس هناك من يمكنه تحقيق هذا الإنجاز العظيم – وهو تسلّي قلب الرسول – إلّا بهجة قلبه، أعني: «أمّ أبيها، الراضية المرضيّة، البتول، الحوراء الإنسيّة».

وكلّ صفة من هذه الصفات كان لها أثرًا بالغًا في استرجاع طاقة رسول اللهﷺ وتشجيعه ورفع معنوياته:

أمّا أمّ أبيها؛ فلها دور في الحفاظ على رسول اللهﷺ كما الطفل المُرهَق يَلوذ بأمّه الحنون فيهدأ باله ويسترجع نشاطه، هنا تعرف معنى قولهﷺ: «فاطمة بضعة منّي»[123]، و «فاطمة شجنه منّي»[124].

---

١١٨) عوالم العلوم، ج11 ص931.
١١٩) المزّمّل: 5.
١٢٠) طه: 1 – 2.
١٢١) فاطر: 8.
١٢٢) الكهف: 6.
١٢٣) الأمالي (للمفيد)، ص260 ح2.
١٢٤) معاني الأخبار، ص303 ح2.

وأمّا الراضية المرضيّة؛ حيث إنّ رسول اللهﷺ كان شُغلُه الشاغل كسبَ رضى الربّ، بحيث لا يهدأ باله ولا تطمئنّ نفسه إلّا بعد أن يتيقّن بأنّ ما جاء به هو الّذي يُرضي الله سبحانه، وكيف له أن يطمئنّ بذلك؟

يطمئنّ من خلال العطاء الإلهي فاطمةعليها السلام الّتي يرضى الله لرضاها.

وأمّا البتول؛ فبَعد أن كان يسعى رسول اللهﷺ في النهار سعيًا حثيثًا، ويواجه هذه الأمّة الكفورة بالنعمة، وفيهم الأشرار والمنافقون، ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾[١٢٥]، فلا هدوء للبال إلّا من خلال ذكر الله: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾[١٢٦]، وأين ظهر هذا الفيض العظيم! إنّها فاطمة البتول مجرى الفيض الربّاني، فهي الّتي تُحقّق هذا الإنجاز منقطع النظير، ولا يتأتّى من غيرها كان من كان!

وأمّا الحوراء؛ فلأنّ السبب في ثقل هذا القول – أعني الوحي – هو أنّه ليس من جنس المحسوسات المادّيّة ولا البرزخيّات! إنّه من عالم الجبروت، إنّه كلام الله جلّ وعلا المذكورة صفاته في قوله: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ * هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[١٢٧].

فأين ذلك الإنسان الّذي يمتلك هذا الجنس من العلوّ والرفعة؛ كي يتفاعل مع خاتم النبيّين ليُسكّن روعه ويطيّب نفسه؟ إنّها الحوراء الإنسيّة النازلة من جنّة الخلد، فاطمةعليها السلام فقط.

على ضوئه تعرف عمق كلام الإمام الخمينيرحمه الله – وهو تفسير للحوراء الإنسيّة – حيث قال:

«إنّها ليست امرأة عاديّة، بل موجود ملكوتي قد ظهر في العالم بصورة إنسان، موجود إلهي جبروتي ظهر بصورة امرأة، ... المعنويات، التجلّيات الملكوتيّة، التجلّيات الإلهيّة، التجلّيات الجبروتيّة، التجلّيات الملكيّة والناسوتيّة، جميعها مجتمعة في هذا الموجود. إنّها إنسان بتمام معنى الإنسان، وامرأة بتمام معنى المرأة»[١٢٨].

---

١٢٥) المزّمّل: 7.
١٢٦) المزّمّل: 8.
١٢٧) الحشر: 22 – 24.
١٢٨) صحيفة الإمام (ترجمة عربية)، ج7 ص250.

والحاصل: إنّ فاطمة الزهراءعليها السلام قد خُلقت من أجل أداء هذه المهمّة – أعني: تسلية قلب الرسولصلى الله عليه وآله – ، وفي المرحلة الثانيّة: تثبيت مقولة ﴿أَنْفُسَنَا﴾ من خلال صراعها مع القوم، وهذا أيضًا منصبّ في المهمّة الّتي انتهت بوفاة أبيها فالتحقت بها، سلام الله عليها يوم وُلِدَت ويوم استُشهِدت ويوم تُبعَث حيًّا.

أيّها العزيز: هل تعلم أنّ فيضًا من فيوضات بهجة قلب المصطفى قد انصبّ علينا – نحن شيعة أمير المؤمنينعليه السلام – وذلك في أذكار ثلاثة ضمن نظام خاصّ، وهي «تسبيحات الزهراء»، أما تشعر أنّها ذات أثر في النفوس تُهدّأ البال وتُنشّط القلب.

الابتهال بعد الاكتمال

لاحظ هذه العبارة: «فلمّا اكتملنا جميعًا تحت الكساء، أخذ أبي رسولُ الله بطرفي الكساء وأومأ بيده اليمنى إلى السماء وقال: اللّهمّ إنّ هؤلاء أهل بيتي وخاصّتي وحامّتي، لحمهم لحمي...»[١٢٩].

والجدير بالذكر: أنّ جبرئيل – وهو ليس من عالم المُلك – قد طلب النزول إلى الأرض ليكون معهم تحت الكساء، وقد أذن له ربّ العالمين، كما في الحديث: «فقال جبرئيل: يا ربِّ، أتأذن لي أن أهبط إلى الأرض لأكون معهم سادسًا؟ فقال الله: نعم، قد أذنت لك»، وفي هذا دلالة واضحة على أنّ بنورهصلى الله عليه وآله وبنور نفسه أمير المؤمنينعليه السلام – ﴿أَنْفُسَنَا﴾ – قد امتلأت السماوات نورًا ورحمةً، فاستغلّها جبرئيل الأمين للنزول إلى الأرض بنفس القانون الّذي شرحناه سابقًا بخصوص ﴿أَنْفُسَنَا﴾ وعلاقته بالصمديّة، فلا تغفل.

الباب التاسع
أهمّيّة الإذن

لمعرفة جودة بضاعة ما، لا بدّ من ملاحظة الختم الخاصّ عليها، وهو معيار عالميّ يعتمد عليه، وإلّا سوف تسقط البضاعة عن الاعتبار أو يقلّ سعرها.

غير أنّ هناك أمرًا في غاية الأهمّيّة في مجال الأمور الروحانيّة، وهي مقولة «الإذن»؛ فإنّه قد ملأ القرآن الكريم ذكرًا، وهو مقام عظيم لمحمّد وآلهعليهم السلام في المرحلة الأولى، وللأنبياء وبعض الأولياء والملائكة وربّما المؤمنين في المرحلة الثانية حسب درجاتهم.

١٢٩) عوالم العلوم، ج11 ص933.

فماذا يعني «الإذن»؟

إنّه تفعيل لأمر خطير وتجسيده ميدانيًا سواء في مجال التكوين أو التشريع وكذلك الاعتبار.

لتوضيح هذا الأمر، من اللازم أن نذكر نماذج من القرآن الكريم ومن العترة الهادية:

الأوّل: نموذج تكويني

نذكر واحدة منها تتعلّق بالمسيح عيسى بن مريم عليه السلام؛ حيث خاطبه تعالى: ﴿... وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي...﴾[١٣٠]، وفي الآيات التالية نلاحظ أنّ النبيّ عيسى عليه السلام بنفسه يؤكّد على ذلك في قوله: ﴿وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ...﴾[١٣١]، ولا تغفل عن كلمة «الآية» هنا، ففيها سرّ لطيف!

هذا، والإذن تارة يكون من الله تعالى مباشرة، وأخرى من رسولٍ أولي العزم، كما هو ملاحظ في:

الثاني: نماذج تشريعيّة

وهي كثيرة، منها: ما يتعلّق بإبراهيم عليه السلام؛ حيث إنّ الملائكة لم يأتوا إليه من أجل لقاءه فحسب – كما يتصوّر البعض – بل بما أنّهم عُمّال الله تعالى، يفعلون ما يُؤمرون، وطلب الله منهم أمرًا مهمًا وهو إهلاك قوم لوط عليه السلام – وهو من الأنبياء الإبراهيميّين – فلذلك جاءوا ضيفًا عليه.

قال تعالى: ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ﴾[١٣٢]، فلم تكن مهمّتهم هي البشارة بالغلام، بل هذا أمرٌ طارئ وفضل، ﴿قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾[١٣٣].

ولذلك سألهم إبراهيم عليه السلام عمّا يريدون فعله؛ لأنّه كان يعلم بأنّ مجيء جبرئيل مع تلك المجموعة من الملائكة لا بدّ وأن يكون لمهمّة عظيمة، ولذلك ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ * قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ﴾[١٣٤]، وهو في الحقيقة استفسار منهم عن سبب مجيئهم، وكان السبب في الحقيقة هو أخذ الإذن منه، فأذن لهم، وبالنتيجة فعلوا ما فعلوا، والقصّة ذكرها القرآن تفصيلًا إلى أن قال: ﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾[١٣٥].

---

١٣٠) المائدة: 110.
١٣١) آل عمران: 49.
١٣٢) الحجر: 51 – 52.
١٣٣) الحجر: 53.
١٣٤) الحجر: 57 – 58.
١٣٥) الحجر: 74.

ومنها: ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾[١٣٦].

فروى عقبة بن بشير، عن أحدهماعليهما السلام: «... ثمّ إنّ ابراهيمعليه السلام أذّن في الناس بالحجّ فقال: أيّها الناس، إنّي إبراهيم خليل الله، إنّ الله يأمركم أن تحجّوا هذا البيت فحجّوه، فأجابه من يحجّ إلى يوم القيامة، وكان أوّل من أجابه من أهل اليمن»[١٣٧].

أمّا كيف أجابوه؟ فقد ورد في أحاديث أخرى:

وروي عن الإمام الباقرعليه السلام: «إنّ الله جلّ جلاله لمّا أمر إبراهيمعليه السلام ينادي في الناس بالحجّ، قام على المقام فارتفع به حتّى صار بإزاء أبي قبيس، فنادى في الناس بالحجّ، فأسمع مَن في أصلاب الرجال وأرحام النساء إلى أن تقوم الساعة»[١٣٨].

وروي عن الإمام الصادقعليه السلام: «لمّا أمر الله عزّ وجلّ إبراهيم وإسماعيلعليهما السلام ببنيان البيت وتمّ بناؤه، أمره أن يصعد ركنًا ثمّ ينادي في الناس: ألا هلمّ الحجّ، هلمّ الحجّ، فلو نادى: هلمّوا إلى الحجّ، لم يحجّ إلّا من كان يومئذ إنسيًّا مخلوقًا، ولكنّه نادى: هلمّ الحجّ، فلبّى الناس في أصلاب الرجال: لبّيك داعي الله، لبّيك داعي الله، فمن لبّى عشرًا حجّ عشرًا، ومن لبّى خمسًا حجّ خمسًا، ومن لبّى أكثر فبعدد ذلك، ومن لبّى واحدًا حجّ واحدًا، ومن لم يُلبِّ لم يَحجَّ»[١٣٩].

ومنها: ما ورد في قوله: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾[١٤٠]، فالقتال في سبيل الله لا اعتبار له إلّا بإذن من الله تعالى.

هذا ولا يخفى عليك أنّ أذان المؤذّن حين دخول الوقت هو إذن عامّ خُوّل إلى المؤذّن الّذي يدعو المؤمنين إلى الصلاة بقوله: «حيّ على الصلاة».

---

١٣٦) الحجّ: 27.
١٣٧) الكافي، ج4 ص205 ح4.
١٣٨) علل الشرائع، ج2 ص419 – 420 ح2.
١٣٩) علل الشرائع، ج2 ص419 ح1.
١٤٠) الحجّ: 39.

الثالث: التكوين والتشريع معًا

وهو ما بُيّن في سورة القدر؛ حيث يقول سبحانه: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾[١٤١]، وقد ثبت في محلّه أنّ الملائكة – خصوصًا بعد الفتق الّذي حصل في السماوات والأرض – لم يتفاعلوا مع الجسم والجسمانيّين، بل كما ورد في الحديث أنّ نزولهم إن دلّ على شيء فيدلّ على وجود من يستقبلهم تكوينًا، وهو منحصر في إمام الزمان ووليّ العصر – أرواحنا فداه – فينزلون ليطلبوا منه الإذن في مجالَين التكوين والتشريع، ولذلك فجميع التقديرات الإلهيّة في السنة تُقدَّر في تلك الليلة المباركة.

الإذن في القيامة

هناك آيات كثيرة تدلُّ على أنّ القيامة وإن كانت ملك الله تعالى – كما قال: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾[١٤٢]– إلّا إنّ لأهل البيت عليهم السلام دورًا كبيرًا في ذلك اليوم أيضًا، بل في جميع أيّام القيامة ومنازلها.

لقد ثبت في محلّه أنّ النبأ العظيم كامن في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾[١٤٣]، وهو أمير المؤمنين عليه السلام، فهو الآية الكبرى والنبأ العظيم.

وأيضًا الشفاعة تصدر منهم، كما قال: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾[١٤٤].

وعلى ذوء ما قلنا نعتقد بأنّ كلّ ما لها علاقة بالشريعة فهي توقيفيّة لا يجوز تجاوزها أبدًا، سواء على صعيد الأحاديث أو الأدعية والزيارات.

فمع انعدام الإذن لا يكون أثرٌ إيجابيّ للعبادات، وربّما يكون لها أثر سلبيّ، إذا أتى بها الإنسان بقصد الورود لا رجاء الثواب، فتأمّل.

هذا، والمباهلة أيضًا قد تمّت بإذن الله تعالى؛ حيث خوطب الرسول صلى الله عليه وآله: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ﴾، ولم يوجّه الخطاب للرسول إلّا بعد تهيئة الأرضيّة والأجواء كما بيّنّا وبعد أن تحقّقت مقولة ﴿أَنْفُسَنَا﴾.

والحاصل: إنّ الإذن الإلهيّ هو الأساس الّذي ينحدر منه الفيوضات الّتي من أهمّها فيض «الإذن» نفسه.

---

١٤١) القدر: 4.
١٤٢) غافر: 16.
١٤٣) النبأ: 38.
١٤٤) طه: 109.

إنّ في واقعة الكساء، رغم اشتمالها على إذن ربّانيّ – كما في قول جبرائيل: «فهبط الأمين جبرئيل وقال: السلام عليك يا رسول الله، العليّ الأعلى يُقرِئك السلام، و يخصّك بالتحيّة والإكرام، ويقول لك: وعزتي وجلالي، إنّي ما خلقت سماء مبنية ولا أرضًا مدحيّة، ولا قمرًا منيرًا، ولا شمسًا مضيئة، ولا فلكًا يدور، ولا بحرًا يجري، ولا فُلْكًا تسري، إلّا لأجلكم ومحبّتكم، وقد أذن لي أن أدخل معكم»[١٤٥] – طلب جبرئيل من رسول اللهﷺ الإذن ثانيًا، فقال: «فهل تأذن لي يا رسول الله؟ فقال رسول الله: وعليك السلام يا أمين وحي الله. نعم، قد أذنت لك، فدخل جبرئيل معنا تحت الكساء».

فحوى كلام جبرئيل هو ما يلي:

بما أنّك يا رسول الله وأهل بيتك لكم الولاية على عالم الغيب والشهود وأنا عارف بذلك وعالم به علم اليقين، ولذلك أذن لي ربّي أن أكون معكم. ولكن رغم ذلك، شرطُ الارتباط بكم والدخول في ساحتكم تحت الكساء هو الولاية التكوينيّة الصادرة منك يا رسول الله؛ كي يتمّ الانسجام بين خلقي وخلقكم، وذلك من خلال نفسك الّتي ملأت كلّ شيء رحمةً، فهل تأذن لي بالدخول؟

فقالﷺ: «نعم، قد أذنت لك»، أي: أنّ شأنك هذا المتوفّر فيه الصفات المعيّنة يقتضي دخولك معنا، فادخل.

الباب العاشر

لولا الحجّة المهدي

آيات الله

يا ترى لو كانت النصارى لم تتراجع عن المباهلة، وكانت المباهلة تتمّ بالفعل، ماذا كانت النتيجة؟

لا شكّ أنّها كانت خطيرة جدًّا، حيث كان يؤول الأمر إلى هلاك النصارى على بكرة أبيهم، فلم تبقَ منهم باقية! فما هو السبب في عدم استمرار المباهلة؟ هل تراجعهم حال دون ذلك أم ماذا؟

١٤٥) عوالم العلوم، ج11 ص933.

أقول في الجواب: إنّ الله سبحانه وتعالى لم يكن يريد إهلاكهم، بل أراد استعراض الفريقين من أجل غاية أهمّ، فالمباهلة ليست هي إلّا مجرّد آية للمهدويّة الّتي ستتحقّق في توقيت آخر، دون ذلك اليوم الّذي كان مُخصّصًا للرسالة لا الظهور!

فلو كان المباهلة تُفعّل بالكامل لتحقّق ما سيحدث في صبيحة ظهور الإمام المهدي عليه السلام من جانب الكعبة المشرّفة؛ لأنّ في تلك الصبيحة سوف يتمّ هلاك الأعداء في حرب شعواء، ينتصر فيه الإمام، ويُحِقّ الله الحقّ بكلماته، ويقطع دابر الكافرين.

فكثير من الإنس والجنّ والشياطين سوف يبيدهم الإمام – روحي فداه – إبادة كاملة بالقتل والاستئصال، وقسمٌ منهم يبعّدهم إلى أماكن بعيدة لتقطع أياديهم الشرّيرة.

لاحظ بدقّة تعابير دعاء الندبة: «أين المُعَدُّ لقطع دابر الظلمة؟ أين المنتظر لإقامة الأَمْت والعِوَج؟ أين المرتجى لإزالة الجور والعدوان؟ ... أين قاصم شوكة المعتدين؟ أين هادم أبنية الشرك والنفاق؟ أين مُبيد أهل الفسق والعصيان؟ أين حاصد فروع الغيّ والشقاق؟ أين طامس آثار الزيغ والأهواء؟ أين قاطع حبائل الكذب والافتراء؟ أين مُبيد أهل العناد والمردة، أين مُعِزّ الأولياء ومُذِلّ الأعداء؟»[146].

فلنرجع إلى أمر المباهلة، فهي في لحظة تحقّقها في ساعة الصفر قد توقّفت عجَلتها، وانتهى كلّ شيء وكأن لم يكن شيء! ذلك لأنّه فلسفة وجودها مرتبطة أشدّ الارتباط بأمر ظهور الإمام المهدي عليه السلام.

الدائرة المنصّفة

كأنّ هناك دائرة إلهيّة صنيعة ربّ العالمين قد انقسمت إلى نصفين، النصف الأوّل منها برزت في المباهلة، والنصف الثاني ستبرز يوم الظهور، وعلى هذا الأساس أصبحت عظمة المباهلة وشأنها مرتبطة بعظمة الظهور وشأنه.

وهذا هو السبب في عدم وصول المباهلة إلى قمّتها – أعني: نزول اللعن على النصارى – فلم يتمّ الدعاء، ولا نزل عليهم اللعن.

فيا عزيزي: كلّما أردت أن تفسّر مواقف الأنبياء والأولياء عليهم السلام الّتي تتراءى أنّها تراجعٌ عن القيم المسلّمة دينيًا، خصوصًا مثل صلح الإمام الحسن عليه السلام وموقف الإمام الحسين عليه السلام وسائر أئمّة أهل البيت عليهم السلام، بل حتّى مواقف رسول الله صلى الله عليه وآله في المباهلة، فلا تستعجل في التقييم أبدًا، بل اجعل

١٤٦) المزار الكبير (لابن المشهدي)، ص578 – 579.

مقولة «ظهور الإمام المهدي عليه السلام» وأيضًا الدولة المباركة الّتي سيؤسّسها ليظهر الله به الدين على الدين كلّه ويملأ الأرض قسطًا وعدلًا، والّتي هي الغاية لكلّ الحوادث والقصص الماضية، اجعلها نصب عينيك لا تتخطّاها قيد أنملة.

وبعبارة أخرى أدقّ:

كلّ ما حدث بدءًا من خلق آدم وهبوطه مرورًا بالأنبياء – خصوصًا أولي العزم من الرسل – إلى ما قبل الظهور، ليس إلّا أشعّة تشعشعت من مجمل ما سيقع من حوادث ومواقف سواء حين ظهور الإمام عليه السلام وتحقّق دولته المباركة أو في رجعة الأئمّة عليهم السلام.

إذنُ الظهور

لنرجع إلى قوله تعالى: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾، أي: لا تدخل معهم في المحاجّة إلّا أن يأتي إليك علمه، ومن ثمّ يتّصل البُعد الأعلى بالأرض، وهي آية لما سيحدث في ليلة الظهور.

فالإمام المهدي عليه السلام وأصحابه ينتظرون تلك الليلة – أعني ليلة مجيء جبرئيل الأمين – بأمرِ الإذنِ من ربّ العالمين، وحينئذٍ سوف يرتبط العالم العلويّ بالعالم السفليّ، ويتحقّق الرتق بعد الفتق.

صباح الظهور

في صباح الظهور سينفتح طريق ﴿أَنْفُسَنَا﴾ مرّة أخرى، فكلّ ما للإمام الحجّة – أرواحنا فداه – من علوّ الشأن وهداية الأمّة نابعةٌ عن جدّه مولى الموحّدين عليه السلام، بل حتّى في زيّه الظاهريّ؛ حيث يلبس عمامة رسول الله صلى الله عليه وآله، ويحمل على عاتقه سيف «ذو الفقار»، ولديه جميع ودائع النبوّة والرسالة، كما تدلّ على ذلك الأحاديث الكثيرة.

وفي الزيارة: «السلام على بقيّة الله في بلاده، وحجّته على عباده، المنتهى إليه مواريث الأنبياء، ولديه موجودة آثار الأصفياء»[١٤٧]، ولذلك يطلق عليه عليه السلام: «جامع الكلم» كما في نفس الزيارة: «السلام على مهديّ الأمم وجامع الكلِم».

---

١٤٧) المزار الكبير (لابن المشهدي)، ص590.

وبخصوص يوم ظهور الإمام المهدي – عجّل الله فرجه – ورد في حديث عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: « ... ويُسند القائم ظهره إلى الكعبة ويقول: معاشر الخلائق، ألا من أراد أن ينظر إلى إبراهيم وإسماعيل فها أنا إبراهيم، ومن أراد أن ينظر إلى موسى ويوشع فها أنا موسى، ومن أراد أن ينظر إلى عيسى وشمعون فها أنا عيسى، ومن أراد أن ينظر إلى محمّد وأمير المؤمنين آليا فها أنا محمّد، ومن أراد أن ينظر إلى الأئمّة من ولد الحسين فها أنا هم واحدًا بعد واحدٍ فها أنا هم فلينظر إليَّ ... »[١٤٨].

فلا يظهر الإمام – روحي فداه – حتّى يتم الاتصال الكامل بين البرزخ والسماء، فيوم المباهلة من هذا المنظار هو أشبه شيء بيوم الظهور.

غار حراء

وهو عبارة أخرى عن الكساء اليماني؛ حيث يجتمع فيه رسول الله وأمير المؤمنين عليهما السلام، كما روي عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «الليلة الّتي يقوم فيها قائم آل محمّد ينزل رسول الله وأمير المؤمنين وجبرئيل عليهم السلام على حراء، فيقول له جبرئيل: أجب، فيخرج رسول الله رقًّا من حجزة إزاره، فيدفعه إلى عليّ فيقول له: اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا عهد من الله ومن رسوله ومن عليّ بن أبي طالب لفلان بن فلان – باسمه واسم أبيه –، وذلك قول الله عزّ وجلّ في كتابه: ﴿ وَالطُّورِ * وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ * فِي رَقٍّ مَّنْشُورٍ ﴾[١٤٩]، وهو الكتاب الّذي كتبه عليّ بن أبي طالب، والرقّ المنشور: الّذي أخرجه رسول الله من حجزة إزاره. قلت: ﴿ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴾[١٥٠]، أهو رسول الله؟ قال: نعم، المُملي رسول الله، والكاتب عليّ»[١٥١].

علمًا بأنّ عليًا عليه السلام لديه خلفيّة في كتابة الوحي، كما هو في قصّة «الجامعة» لأمير المؤمنين، فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: « ... إملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وخطّ عليّ عليه السلام بيده، إنّ الجامعة لم تَدَع لأحد كلامًا، فيها علم الحلال والحرام»[١٥٢].

---

١٤٨) الهداية الكبرى، ص397 – 398.
١٤٩) الطور: 1 – 3.
١٥٠) الطور: 4.
١٥١) دلائل الامامة، ص478 ح469.
١٥٢) الكافي ج1 ص57 ح14.

مقارنة لطيفة

إنّ المباهلة أمر إلهيّ لا علاقة له بالناس، كذلك الظهور مرتبط بالله سبحانه، وهو جلّ وعلا يحقّقه حين وصول أوانه.

المباهلة واقعة عظيمة ليست كسائر الوقائع، وكذلك الظهور هو أمرٌ عظيم.

المباهلة تمثّل آية محكمة لأمر ظهور وليّ الله الأعظم – أرواحنا فداه –، فحدوثها لم يكن إلّا من أجل تهيئة الأرضيّة لمعرفة شأن ذلك اليوم الّذي سيرتبط الأرض بالسماء، وتتحكّم قوانين السماء على الأرض.

هذا، وكما قلنا سابقًا قصّة الغدير والكساء وحتّى ما حدث في كربلاء هي حلقات وصل بين المباهلة وبين الظهور، وحينما تتحقّق تلك الدولة الحقّة سوف يعرف المؤمنون مدى عظمة المباهلة، وكأنّهم يرونها رأي العين، وأعظم من ذلك أنّهم يتعايشون مفهوم ﴿اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾[١٥٣]، فدولة المهدي – بما فيها من البركات – هي بروز لـ﴿الحيّ﴾، ونفسُ الإمام المهدي عليه السلام هو ظهور لـ﴿القيّوم﴾. هنا تبرز مصداقيّة هذه الآية: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾[١٥٤].

لاحظ أنّ الموقف المخالف لـ﴿الحيّ القيوم﴾ هو ﴿من حمل ظلمًا﴾.

جنّة الظهور

﴿الم * اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾[١٥٥].

رجوعًا إلى اسمَي ﴿الحيّ القيّوم﴾ في عنوان سورة آل عمران – الّذَين مرّ ذكرهما – نريد هنا بيان مصداق مشهود منهما في دولة خليفة الله صاحب الزمان الإمام المهدي روحي فداه.

اسمحوا لي أن أبيّن لكم ذلك من خلال تصوير لما سيحدث في تلك الدولة الكريمة، فأقول:

لا يخفى أنّ هناك تزاورًا بين المؤمنين في أجواء مفعمة بالنور!

يقول أحدهم: سوف أزورُ أحدكم هناك في بيته.

---

١٥٣) آل عمران: 2.

١٥٤) طه: 111.

١٥٥) آل عمران: 1 – 2.

كلّا! إنّه يسكن في بستان جميل تبلغ مساحته آلاف الأمتار، بل كيلومترات حسب إيمانه وتقواه وارتباطه وتعلّقه في هذه النشأة بأهل البيت عليهم السلام عامّة والإمام الحسين عليه السلام خاصّة، تلك الجنّة مغطاة بأشجار ذات طراوة لا يمكنك تصوّرها، وأزهار ذات ألوان خلّابة، وفواكه كثيرة لا نظير لها في الدنيا، وطيور ملوّنة تسحر الأعين، تجري خلالها الأنهار المتنوّعة.

أسألك: الأرض هنا قبل يوم كانت قاحلة لا زرع فيها، فمن الّذي أوجدها؟ تجيب: أنّا! كيف؟ هنا تتفاجأ بالجواب!! ذكرتُ فضائل الصدّيقة الكبرى صلى الله عليه وآله، وصلّيت على محمّد وآل محمّد عليهم السلام! وبذلك حقّقت هذا الإنجاز العظيم!

ما شاء الله، كم هو جميل، جزيت خيرًا.

أنا كنت أعرفك في الدنيا، ألستَ أنت ذلك الفقير المسكين الّذي لم تكن تمتلك قطعة صغيرة من الأرض تسكن مع عائلتك فيها؟!

نعم، هو أنا! ولكن هل كنت تعلم ما في قلبي من حبّهم عليهم السلام، إنّك إذًا عرفت شيئًا وغابت عنك أشياء! كنتُ أعتقد بهم بمستوى عين اليقين، وأدرك مدى كرمهم وجودهم عليهم السلام، وفي الحقيقة كنت أمتلك أغلى بضاعة لم تُرَ! والآن حيث إنّني مرتبط بمولاي الإمام المهدي – روحي فداه – أعيش في ظلّه، وأتنعّم من فضله وبركاته، لذلك تمكّنت من تحقيق هذا الإنجاز الكبير.

عزيزي: يقول سبحانه: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾[١٥٦].

السرّ يكمن في الحكم والعلم الّذين يحظى بهما كلّ محسن وإن لم يكن معصومًا، وهما شرطان رئيسان للدخول في الساحة المهدويّة بقوّة.

وفي الحقيقة: حيث أنّ إمامنا كان غائبًا عنّا، فالأمور في نشأة الدنيا رغم أنّها كانت مرتبطة به إلا أنّها لم تكن ظاهرة مكشوفة، ولكن حينما ظهر بجسمه الطاهر وأصبح الشمس المشرقة – ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا...﴾[١٥٧]– فقد انتشرت بركاته باعتبار أنّ السماء قد اتّصل بالأرض، وفي الحقيقة قد برزت ﴿أَنْفُسَنَا﴾ بعينها، تلك الّتي أفصح عنها رسول الله صلى الله عليه وآله ليلة المباهلة، والمفروض أن تُفعَّل يوم المباهلة، ولكن توقّفت للسبب الّذي ذكرناه سابقًا.

---

١٥٦) يوسف: 22.

١٥٧) الزمر: 69.

المم به شعثنا

عزيزي: ولا نغفل أنّ حياتنا منذ خلقنا إلى يوم القيامة – بل حتّى في الجنّة – مرتبطة أشدّ الارتباط بإمامناعليه السلام، وقد أصبحنا واسطة لحياة الأرض فحُييت الطبيعة بحياتنا، فلولا الحجّة لكنّا نحن كما كنّا في الدنيا لا نمتلك أيّة قوّة للإيجاد والتغيير غير الحسرة والأسف على ما فرّطنا، وكأنّ ﴿الحيّ﴾ قد ابتعد عنّا وأصبحنا موتى، فالجدير أن نناجي ربّنا: «أنت الحيّ وأنا الميّت، وهل يرحم الميّت إلّا الحيّ».

تأمّل في هذا الحديث الّذي روي عن الإمام الحسين بن عليّ عليه السلام، قال: «منّا اثنا عشر مهديًّا، أوّلهم أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، وآخرهم التاسع من ولدي، وهو الإمام القائم بالحقّ، يحيي الله به الأرض بعد موتها...»[158].

فالإمام الحجّة – أرواحنا فداه – لا يُخرجنا من الأرض، بل سوف يُحيي الأرض بعد موتها، وبذلك يلتئم كلّ شيء، «والْمّ به شعثنا»، وحينئذٍ يمكننا معرفة السرّ في المواصفات الخاصّة بدولة الإمام المهديّ عليه السلام.

وعن أبي جعفر عليه السلام في قوله عزّ وجلّ: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها﴾[159]: «يعني بموتها: كفر أهلها، والكافر ميّت، فيُحييها الله بالقائم، فيَعدل فيها فتحيى الأرض ويحيى أهلها بعد موتهم»[160].

وبالنتيجة: نحن والطبيعة أصبحنا مصداقًا لاسم ﴿الحيّ﴾، وأمّا اسم ﴿القيّوم﴾ فراجع إليه – أرواحنا فداه –؛ حيث إنّ كلّ ما لدينا قائم به. هذا ولو تأمّلنا في آية المباهلة لشاهدنا فيها هذه الحقيقة بوضوح.

أبناءنا ونساءنا

مبدئيًا لا شكّ أنّ «الأبناء» بصورة عامّة هم ثمرة الحياة في الدنيا وزينتها، فما بالك بابني رسول الله الحسن والحسين عليهما السلام! فبهما حياة رسول الله صلى الله عليه وآله بل حتّى دينه وأمّته، وهما عليهما السلام السرّ في طراوة العوالم من العرش إلى الأرض وحيويّة النشئات.

---

١٥٨) كمال الدين، ج1 ص317 ح3.
١٥٩) الحديد: 17.
١٦٠) تأويل الآيات الظاهرة: 638 نقلًا عن تفسير ابن الماهيار.

كذلك ﴿نِسَاءَنَا﴾ الخاصّة ببضعة الرسول «والأمّ الحنون» هي الحياة بعينها وهي السبب في حياة أبنائنا، بل حتّى ﴿أَنْفُسَنَا﴾ – أعني أمير المؤمنين عليه السلام –، ولكن ﴿الحيّ﴾ قائم بـ﴿القيّوم﴾ الظاهر في ﴿أَنْفُسَنَا﴾.

فقوام السبطين عليهما السلام وإمامتهما وولايتهما وجميع شؤونهما مرتبط أشدّ الارتباط بوجود وبإمامة وولاية أمير المؤمنين عليه السلام، وآية المباهلة بصدد بيان هذا الارتباط الوثيق الّذي يتعدّى البعد الجسماني البحت ليصل إلى البعد الروحاني والجانب الديني، ولذلك لا مصداق لآية المباهلة إلّا هؤلاء الخمسة الطاهرة، فتأمّل.

والحاصل: إنّ واقعة المباهلة ستظهر معالمها في الأرض المهدوي العامر، وهنالك ستنكشف لنا مقولتا ﴿الحيّ﴾ و ﴿القيّوم﴾، وهنالك أيضًا سينكشف لنا كيف أنّ كلّ الكون قائم بالإمام حينما نقارن حالنا قبل قيام دولة الحقّ – الّذي كان أسوأ حال – بحالنا في دولة الحقّ.

حينما كنّا في الدنيا ولكي ننجز أمرًا ما، كنّا نتعب كثيرًا ونشقى. والآن نشاهد أنّ كلّ ما كنّا نفعله بشقّ الأنفس – وربّما تذهب أتعابنا درج الرياح – هنا في دولة المهدي عليه السلام يتحقّق في طرفة عين وبمجرّد ذكر الله وذكر الصلوات وحتّى بمجرّد تصوّر فضائل أهل البيت عليهم السلام، وهذا هو تفسير ما ورد في الزيارة: «السلام عليك يا عين الحياة»[١٦١]، و «السلام على ربيع الأنام ونضرة الأيّام»[١٦٢]، وقد ورد في صفات دولة الإمام: «تستبشر الأرضُ بالعدل، وتُعطي السماءُ قَطرَها، والشجرُ ثمرَها، والأرضُ نباتَها، وتتزيّن لأهلها وتأمن الوحوش حتّى ترتعي في طرق الأرض كأنعامهم»[١٦٣].

سرّ الذكر الدعاء والزيارة

إنّنا نلاحظ الثواب العظيم لدعاء أو ذكر تتمّ قراءته في دقائق أو ثوانٍ قليلة، خصوصًا في الليالي المباركة كليلة القدر أو الجمعة، وفي البقاع المقدّسة كالمسجد الحرام وحرم الأئمّة عليهم السلام، راجع كتاب ثواب الأعمال للشيخ الصدوق رحمه الله ستشاهد كَمْ من الثواب العظيم لذكر كلمات فقط! فكيف نفسّر ذلك؟

---

١٦١) بحار الأنوار، ج99 ص215.
١٦٢) بحار الأنوار، ج99 ص101.
١٦٣) مختصر البصائر، ص473 – 474.

أقول: إنّ ما تأتي به في هذه النشأة الدنيا هو سرّ لم ينكشف لك، فهو عين ذلك الجهر الّذي ستشاهده في دولة الإمام(عليه السلام)، أعني: آثار الذكر العينيّة كما مرّ.

إنّه هو الحُكم الّذي منحه الله المحسنين؛ حيث يحقّقون ما يريدون من النعم غير المتناهية.

فما ستحقّقه من إنجازات في تلك النشأة ليس بأمر جديد، بل كنت بنفسك تحقّقه في نشأة الدنيا بدعائك، والفرق: إنّ الحجب هنا – في النشأة الدنيا – تحول دون مشاهدة الآثار، وهناك – في النشأة الآخرة – حيث تُزال الحجب فسوف تشاهد الآثار وتعترف بها، وهذا الأمر جار إلى يوم دخول جنّة الخلد، قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[١٦٤].

فلكي نعطي الأذكار المقدّسة حقّها ينبغي لنا:

أوّلًا: أن نقوّي إيماننا بالأدعية والزيارات والأذكار، فلا نفرّق بين ما نُبصر وما لا نُبصر، ونعلم أنّ الإيمان بالسرّ هو القاعدة للوصول إلى الجهر.

ثانيًا: أن ننظر إلى هذه الأذكار في الدنيا كآيات لما سيكون في جنّة الظهور، ومن ثمّ في جنّة الخُلد.

التمحيص

إنّ ابتلاءات الدنيا وفتن آخر الزمان إنّما هي من أجل تمحيصنا، ومن أجل أن نقدّر ما سيمنحنا ربّنا في تلك الدولة العظيمة، وبالنتيجة نشتاق إليها وننتظرها انتظار المحبّ الواله، فلا يُقيّم الصحّة إلّا المريض.

ذكر ابن شهر آشوب حديثًا عن أمير المؤمنين(عليه السلام) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَ إِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا﴾[١٦٥]، قد بيّن فيها كثيرًا من المُدن الّتي يقع فيها الخراب، كسمرقند وأصفهان والكوفة وهمدان والريّ وفارس بالقحط والجوع، ومكّة من الحبشة، والبصرة وبلخ من الغرق، وبعض الشام بسنابك الخيل والقتل، واليمن من الجراد، وشامان بالطاعون، ومرو بالرمل، وهراة بالحيّات، وآذربيجان بالصواعق، وبغداد يصير عاليها سافلها[١٦٦].

---

١٦٤) البقرة: 25.
١٦٥) الإسراء: 58.
١٦٦) مناقب آل أبي طالب، ج2 ص277.

كلّ ذلك لكي يشتاق المؤمنون إلى العدل ويقارنوا بين الحياتين ويدركوا مدى أهمّيّة تلك الدولة المباركة.

وقد روي أيضًا في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ﴾[١٦٧] عن

٤١ ـ الإمام الباقر عليه السلام: «((ذلك جوع خاصّ وجوع عامّ، فأمّا بالشام فإنّه عامّ، وأمّا الخاصّ بالكوفة يخصّ ولا يعمّ، ولكنّه يخصّ بالكوفة أعداء آل محمّد فيُهلكهم الله بالجوع، وأمّا الخوف فإنّه عامّ بالشام. وذاك الخوف إذا قام القائم عليه السلام، وأمّا الجوع فقبل قيام القائم عليه السلام، وذلك قوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ﴾»[١٦٨].

هناك سوف نعرف حقيقة آية المباهلة وأبعادها، وكيف أنّها بالفعل وقعت تحت نظام متقن وهو ﴿الحيّ القيوم﴾؛ لأنّ القرآن سيتجسّد هناك، والعبادات ستُرى!

والأهمّ من ذلك أنّنا نشاهد بروز حقيقة ﴿اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ الّذي هو التوحيد في الذات، وكيفيّة تجلّيه في ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾.

وعلى ضوئه، جميع الناس هناك يُدركون كيف أنّ الإمام المهدي – عجّل الله فرجه – هو في الحقيقة شعاع من ألوهيّة الله الواحد القهّار واستمرار لها، فتكتمل له صورة ﴿اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ تلك الّتي سبق، وأن ذكرها سبحانه أيضًا في قوله: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾[١٦٩]؛ حيث ربط سبحانه الخلافة بالتوحيد وجعلها بروزًا وظهورًا لوحدانيّة الله تعالى.

كما أنّ هذا نشاهده في سورة الناس؛ حيث يقول: ﴿...رَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ﴾[١٧٠]، ولا شكّ أنّ المَلك ليس هو من صفات الذات الإلهيّة، بل من البروزات الربّانيّة، ودليل ذلك قوله: ﴿الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ﴾[١٧١]، فتأمّل.

---

١٦٧) البقرة: 155.
١٦٨) تفسير العيّاشي، ج1 ص68 ح125.
١٦٩) النمل: 62.
١٧٠) الناس: 1 – 3.
١٧١) الحشر: 23.

فالمَلك الربّانيّ هو الإمام المهدي – عجّل الله فرجه –؛ حيث إنّه قد حقّق مُلكَ الله في دولته الّتي بها ملأ الله الأرض قسطًا وعدلًا كما مُلئت ظلمًا وجورًا، وعلى هذا الأساس أصبحت تلك الدولة دولة كريمة.

وبالنتيجة: الشرط الرئيس للدخول في تلك الجنّة هو معرفة الله وتوحيده، خصوصًا التوحيد في الخلافة الّذي سبق وأن بيّناه، وعلى أساسه ينكشف لنا معنى كثير من ألقاب الإمام – عجّل الله فرجه – مثل: «وجه الله، عين الله، جنب الله، نور الله، حجة الله، وليّ الله، سرّ الله».

نسأل الله أن يرزقنا معرفة هذه الحقائق، ثمّ يتفضّل علينا ويوفّقنا لأن نتواجد في جنّة الظهور فنجد كلّ ما عرفناها في هذه النشأة متجسّدة أمامنا بفضل الصلاة على محمّد وآل محمّد ﷺ.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

انتهيت من كتابة هذه الأوراق (خفايا المباهلة) يوم الأربعاء ٥ شوال ١٤٤٤ في المنامة عاصمة البحرين.

العبد / إبراهيم الأنصاري البحراني

الفهرس

مقدّمة المؤلّف ١
الباب الأول: السرّ الكامن في مفهوم أنفسنا ٢
المحوريّة في المباهلة ٢
بحقّ الحسين ٢
البغي بينهم ٢
أكبر فضيلة ٣
الله الصمد ٤
سدّ الأبواب إلّا بابه ٥
الأسماء الحسنى ٦
وعليٌّ بابها ٧
المباهلة وزيارة أمين الله ٧
الباب الثاني: العلاقة بين المباهلة وسائر الولائيّات ٨
تبيين وتوضيح ٨
الأولى: علاقة الغدير بالمباهلة ٨
فتح باب السماء ٩
الثانية: علاقة الخاتميّة بالمباهلة ٩
الثالثة: علاقة التطهير بالمباهلة ١٠
الرابعة: علاقة الظهور بالمباهلة ١١
أوّلًا: تغيير القوانين ١١
ثانيًا: الدعاء والابتهال ١٢
ثالثًا: جريان الإذن الإلهيّ ١٢
الباب الثالث: نقاط رئيسة في آية المباهلة ١٣
النقطة الأولى ١٣
النقطة الثانية ١٣
النقطة الثالثة ١٣
النقطة الرابعة ١٤
الباب الرابع: أهمّيّة الغاية القصوى ١٥

الفهرس

نحو تأويل الظاهر ١٥
تصوير للاعتصام بحبل الله ﴿أَنْفُسَنَا﴾ ١٦
الباب الخامس: درجات ﴿أَنْفُسَنَا﴾ عند أولي العزم من الرسل ١٨
الدرجة الأولى: ﴿أَعْيُنَنَا﴾ ١٨
الدرجة الثانية: الحنيفيّة ١٨
الدرجة الثالثة: الآية الكبرى ١٩
الدرجة الرابعة: ﴿رُوحَنَا﴾ ١٩
الدرجة الخامسة: ﴿أَنْفُسَنَا﴾ ١٩
الباب السادس: الارتقاء والتعالي بواسطة أحمد ١٩
نور وجه الله ١٩
إشارة تربويّة ٢١
العلم ٢٢
الصاعد والنازل ٢٢
الأدعية المأثورة ٢٢
نصارى نجران ٢٣
بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ٢٤
ابتهال السحر ٢٥
الأوّل: النور ٢٥
الثاني: الكلمات ٢٥
الثالث: الأسماء ٢٥
الباب السابع: الحيّ القيّوم ٢٦
﴿أَنْفُسَنَا﴾ بصيغة الجمع ٢٦
لا مؤثّر في الوجود إلّا الله ٢٧
أهمّيّة التوحيد ٢٩
عيسى بن مريم عليه السلام والحياة ٣٢
مصاديق ﴿الحيّ﴾ في السورة ٣٣
قصّة التوحيد ٣٤

الفهرس

نصيحة وتوصية ٣٥
التشابه أو العينيّة ٣٥
تجسيد الصلاة قبل الدعاء ٣٦
الباب الثامن: حديث الكساء ٣٦
الكساء اليماني ٣٦
دور فاطمة عليها السلام ٣٧
أمّا أمّ أبيها ٣٧
وأمّا الراضية المرضيّة ٣٨
وأمّا البتول ٣٨
وأمّا الحوراء ٣٨
الابتهال بعد الاكتمال ٣٩
الباب التاسع: أهمّيّة الإذن ٣٩
الأوّل: نموذج تكويني ٤٠
الثاني: نماذج تشريعيّة ٤٠
الثالث: التكوين والتشريع معًا ٤٢
الإذن في القيامة ٤٢
الباب العاشر: لولا الحجّة المهدي ٤٣
آيات الله ٤٢
الدائرة المنصّفة ٤٤
إذنُ الظهور ٤٥
صباح الظهور ٤٥
غار حراء ٤٦
مقارنة لطيفة ٤٧
جنّة الظهور ٤٧
الم به شعثنا ٤٩
أبناءنا ونساءنا ٤٩
سرّ الذكر الدعاء والزيارة ٥٠
التمحيص ٥١